القوْل السديد في الخَطْب الشديد

خطب منبرية ودروس مسجدية بشأن حرب الإبادة في غزة

دليل مخصّص للأئمة والخطباء في أوروبا

EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة

EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة

إصدارات المجلس الأوروبي للأئمة

رمضان 1445 هـ
مـارس 2024 م

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

هذا الدليل 8

كيفية التعامل مع هذا الدليل 14

موضوعات الخطب والدروس والمواعظ

الموضوع الأول: الابتلاء واليقين 20

الموضوع الثاني: تشجيع الوحشية وتبرير الإبادة! 26

الموضوع الثالث: مسّتهُم البأساءُ والضرّاءُ وزُلزِلوا 36

الموضوع الرابع: فظائعُ غزّةَ تتحدّى مبادئ عالمنا 46

الموضوع الخامس: شهود على وحشية العدوان 54

الموضوع السادس: أهوال الإبادة وأسئلتها الإنسانية 60

الموضوع السابع: جريمةٌ ضدّ الإنسانية .. (فكأنّما قتل الناس جميعاً) 70

الموضوع الثامن: متانة الإيمانِ وعُمْق اليقين 78

الموضوع التاسع: عن الأخوّة والتزاماتها 88

الموضوع العاشر: العدوان على الإنسان والمقدّسات والحرمات 96

الموضوع الحادي عشر: مشاهد وعِظات من غزّة 104

الموضوع الثاني عشر: دروس في الصبر والاحتساب عند الشدائد 112

الموضوع الثالث عشر: مساسٌ فظيعٌ بكرامة الإنسان .. (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ) 120

الموضوع الرابع عشر: إبادة المساجد والعلماء والأئمة والحفّاظ 128

الموضوع الخامس عشر: دروسٌ في تقديرِ النِّعم 136

الموضوع السادس عشر: الجسد الواحد في زمن الإبادة 146

الموضوع السابع عشر: علّة أخلاقية في سياسات عالمنا 154

الموضوع الثامن عشر: الإبادة الوحشية تطارد الكائناتِ جميعاً 162

الموضوع التاسع عشر: امتحانٌ للضمائر وتمحيصٌ للمواقف 172

الموضوع العشرون: الحثّ على التآخي والتضامن 180

الموضوع الحادي والعشرون: حرب التجويع وفظائعها 186

الملاحق

إعلان عالمي من مفكِّرين ومثقفين وقيادات دينية وشخصيات عامّة وأدباء وفنانين 194

الإعلان الإنساني العالمي لنصرة فلسطين 200

هذا الدليل

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على خاتم الأنبياءِ والمرسلين، وعلى آلِه وصحبه ومن تبع هداه إلى يومِ الدين، وبعد،

يصدُر هذا الدليل بينما تتواصل حرب الإبادة الوحشية التي تستهدف الشعب الفلسطيني في قطاع غزة (٢٠٢٣ - ٢٠٢٤)، في مَوسم مُزلزل، حرّك الضمائر اليقظة والجماهير الحرّة حول العالم على اختلاف ألسُنِها وألوانِها وانتماءاتِها الثقافية والدينية.

وقد تعيّن على منابر المساجدِ أن تقول قولتها في هذه النازلة الجسيمة، التي شغلت الناس في المشارقِ والمغارب، ويُؤمَل من هذا الدليل أن يُساندَ الإمام والخطيب في الإعرابِ عن موقف شرعيٍّ ومبدئيٍّ من الاحتلال الجائر والإبادة الجماعية والتطهير العرقي وجرائم الحرب الفظيعة، ومناصرة حقوق شعبٍ فلسطين الواقعِ تحت احتلالٍ عسكري مديد واضطهاد

مُزمِـن وتفرقـة عنصريـة متأصِّلـة وجـولاتِ عـدوانٍ متلاحقـة، وإن لم يوافِـق هـذا أهـواء السياسـة والإعـلام.

وممّـا ينبغـي التذكـيرُ بـه أنّ تجاهُل الإبـادة الجارية لا يُعبِّر في الواقع عـن التـزام مبدئـيٍّ أو أخلاقـيٍّ، كـما لا يُمثِّـل بالأحـرى موقفـاً شرعيـاً يلتـزم الحـقّ والعـدل في القـوْل والعمَـل، عـلاوة عـلى أنّـه لـن يُعـبِّر بهـذا عـن يقظـة الحـسّ الإنسـاني والضمـير الأخلاقـي.

ومـن نافلـةِ القـول أنّ إعـرابَ الإمـامِ أو الخطيـبِ، في الخطبـة أو الـدرس أو الموعظـة، عـن موقـف مبدئـي وأخلاقـي وإنسـاني وشرعـي في نازلـةٍ كـبرى ومسـألةٍ عامّـة، لا ينبغـي أن يُفهَـم منـه تسـييسُ المسـجد والمنـبر، وإنّـما هـو إبـداءٌ واجـبٌ لموقـف شرعـيٍّ ومبدئـيٍّ وأخلاقـيٍّ وإنسـانيٍّ مـن قضيـة سـاخنة ومُلِحّـة، يُرجـى مثلُـه مـن المنابـر جميعـاً في شـتى الحقـول. عـلى أنّ ذلـك يقتـضي العنايـةَ بحُسْـنِ صياغـة الموقـف وضبـطِ تعبيراتـه، وبتنميـة الخـبرة الذاتيـة بكيفيـة التعبـير عـن مسـائل تبـدو أحيانـاً إشـكالية أو حسّاسـة في النقـاش العـامّ أو محفوفـة بذرائـع محبوكـة في بيئـات معيّنـة. وعـلى روّاد المنابـر في البيئـات الأوروبيـة وغيرهـا أن يتنبّهـوا إلى المزالـق المترتِّبـة عـلى بعـض التعبـيرات غـير المحسـوبة

بطبيعة الحال.

وقد واجَه بعض الأئمّة والخطباء الأفاضل تحدِّياتٍ بشأن كيفية التعبير عن الموقف الشرعيِّ والمبدئيِّ والأخلاقيِّ في مسألة قد تبدو شائكةً وحسّاسةً في المداولات العامّة، خاصّة في بلدان أوروبية انغلقت ابتداءً على سرديّةٍ أحاديةٍ داعمة للاحتلال وحرب الإبادة دون أيِّ تحفّظاتٍ أو استدراكاتٍ؛ من قبيل مراعاة القانون الدولي وحقوق الإنسان وأخلاقيّات الحرب. وغنيٌّ عن البيان أنّ مساندة الحقوق والعدالة هي من تجلِّيات الاجتماع المندوب على «كلمة سواء»، وممّا يُرجَى أن يتعزّز الالتزامُ المبدئيُّ والأخلاقيُّ في البيئات الأوروبية بهذه القيَم والمبادئ بصفة سابغة تتحاشى الانتقائية والازدواجية والقصور.

إنّ حقيقةَ وقوع إبادة جماعية على مرأى من البشرية جمعاء، على نحو يُماثل نكبة فلسطين ١٩٤٨ أو قد يفوقها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّها حدث يجري هذه المرّة بصفة مرئية ومنقولة عبر البثّ المباشر ويتواصل في عالمٍ يحتفي بمواثيقِه وقيَمه ومبادئه؛ ممّا يؤكِّد أنّ إيثارَ الانكفاء والنأي بالنفْس عن إبداء

موْقفٍ واضحٍ من هذه الفظائع المروِّعة؛ ليس سلوكاً مقبولاً من أيِّ طرفٍ مجتمعيّ في الواقع الأوروبي، علاوة على أنّ إبداء مواقف مُنساقة مع خطابات تتذاكى في تبرير جرائم الحرب والإبادة والتطهير العرقي؛ هو انزلاق مبدئيٌّ وأخلاقيٌّ بَيِّن. وإنْ استساغت أيُّ بيئة سياسية وإعلامية وثقافية الانحيازَ إلى حربِ إبادةٍ وتطهيرٍ عرقيٍّ وجرائم حرب، بشكل مباشر أو غير مباشر، فإنّ هذا يُنذِر باستمراءِ ما يشابهها أو ما يدنوها من الانتهاكات في غيرها من المواضع.

إنّ اتخاذ موقف مبدئي وأخلاقي إزاء تطوُّرٍ يشغل العالَمَ بأسره موسِماً بحياله؛ مثّل تحدّياً للمجتمعات والشعوب الأوروبية عموماً، وقد حرّك هذا الإدراكُ جماهير ونخباً حرصت على إبداء الموقف المبدئي والأخلاقي بأشكال متعدِّدة. ومن دواعي الاستبشار أنْ شهدت أوروبا والعالم موجةَ تضامنٍ غير مسبوقة في حجمها وامتدادها، مع الحرية والعدالة في فلسطين وضدّ حرب الإبادة الجماعية المسلّطة على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

يُستحسَن أن يُراعِيَ الإمامُ والخطيبُ المستجدّاتِ والأحداثَ والمناسباتِ الدينيّةَ والعامّة، ليكون ما يُلائم منها مقام الخطابة والدرس والوعظ منطلقاً لموضوعات التناوُل، ولتقديم الإرشاد والتوجيه من خلال ما يتيسّر منها، وبما ينمِّي حاسّة التفاعل الإيجابي لمرتادي المساجد ولعموم الجمهور مع هذه المستجدات والمناسبات. ولاشكّ أنّ حربَ الإبادة الوحشية وفظائعَها المرئية للنّاس كافّة تمثِّل محطّةً استثنائية تقتضي إيلاءها عنايةً فائقةً وأولويّةً متصدِّرةً في سياقها الزمني، والسعي إلى استلهام المعاني والدروس والعِظات والقيَم الماثلة فيها من جانب؛ وتكييف المناسبات الدينية والعامّة، مثل رمضان والعيدين والحجّ والإسراء والمعراج والهجرة وغيرها، مع هذا الموسم المُزلزِل من جانب آخر.

لا تنتفي الحاجةُ إلى هذا الدليل بهدوء القصف الوحشي أو بتوقُّف حرب الإبادة – وندعو الله تعالى أن يحصُل هذا عاجلاً –، وقد وُضِعَت نصوصُ الدليل لتبقى مؤهّلةً للأخذ عنها والاستلهام منها آماداً لاحقة، ذلك أنّ موسم الإبادةِ الممتدّ عبر سنتيْ ٢٠٢٣ و٢٠٢٤ – حتى صدور الدليل – سيبقى

محفـوراً في وَعْـي الأجيـال، وينبغـي أن تبقـى دروسُـهُ المؤلمـة وعِظاتُـه الموجِعـة وخلاصاتُـه المركّـزة حـاضرةً مـن بعـدُ كـي لا يتكـرّر هـذا بحـقِّ شـعبِ فلسـطين أو غـيره مـن شـعوبِ الأرض.

كيفية التعامل مع هذا الدليل

يُقدِّم هذا الدليل مُقترحاتٍ لمضامين الخُطَب الجُمَعية والدروس والمواعظ المسجدية خصوصاً، كما أنّه مُتاح للقراءة والاستفادة للجمهور عموماً.
يتوجّه الدليل، أساساً، إلى الأئمة والخطباء في البيئات الأوروبية، على نحوٍ يُراعي في المقاصد والمضامين والمصطلحات والمفردات خصوصيّات هذه البيئات وضوابط التعبير وأولويّات التناول الأمثل فيها.

وممّا يسَع الإمامَ أو الخطيب، أن يستعين بهذه المضامين في الخطابة والدروس والمواعظ، فقد تؤخذ كلّ مادّة بحيالِها فتكون خطبةً قائمةً بذاتها أو درساً أو موعظة، مع إلحاقها بالمقدِّمة الشرعية وإرفاقها بفقرات أخرى تنتهي بالدعاء، أو قد تُنتقَى من بعض الموادّ فقراتٌ معيّنة فيؤتى بها في سياق يضعه الإمام أو الخطيب، أو تدمَج فقراتٌ من موضوع معيّن

مع غيرها من المضامين الواردة في موضوعات أخرى ضمن هذا الدليل، أو تُستلهَم الفكرةُ في عمومها ويُعبّر عنها الإمامُ أو الخطيبُ بما يراهُ من أساليب أخرى في الخطابة والدرس والوعظ.

وللخطيب أن يستزيد من المضامين بالاستعانة بالوثائق المرفقة ضمن هذا الدليل، أو بما يراهُ مناسباً من غيرها، ويُنصَحُ بتكييف النصوصِ بما يراعي مقام المسجد في الخطابة والدرس والوعظ.

ولاشكّ أنّ مضامين الدليل معروضةٌ للنقلِ إلى الألسُن الأوروبية عموماً بما يُمليه مقام الخطبة أو الدرس أو الوعظِ مع الجمهور.

وفي ما يلي بعض الملاحظات والتنبيهات التي يُنصَح بها في هذا الشأن:

* من المستحسن بفضيلة الأمام والخطيب أن يُورِد آياتٍ قرآنية وأحاديث نبوية شريفة في مواضع تلائم الاستشهاد بها.
* من المستحسن بفضيلة الإمام والخطيب الكريم أن

يروي مشهداً إنسانياً معيّناً من الوقائع التي يتطرّق إليها، لكن في الوقت ذاته من المهمّ تجنُّب الشحن المعنوي الذي يُهيِّج المشاعر بصفة غير رشيدة. إنّ الكلمات تبلغ مبلغها من العقول والقلوب والضمائر حتى مع الحفاظ على سكينة المنبر ورصانة الخطبة وتحاشي الانفعال الزائد أو لغة التهييج الشكلية.

* رغم وطأة الحدث الجسيم فإنّ خُطَبَ الجمعة والدروس والمواعظ المسجدية تركِّز على الجوانب المبدئيّة، وتتجنّب لغة الوقائع السياسية والميدانية والتحليل الإخباري ونحوه.
* من المهمّ العناية بانتقاء المفردات، والابتعاد عن مصطلحات وتعبيرات غير مناسبة وبعضها إشكاليّ أو قد يمثِّل مشكلة قانونية في بيئة الإمام والخطيب. كما ينبغي تحاشي أي مفردات أو تعبيرات مسيئة أو قد يُساء فهمها أو قد تُستغلّ إعلامياً على غير المقصد الحميد منها.
* لا ينبغي عند ذمّ العدوان والمجازر استعمال نسبةً معينة أو وصف محدّد بطريقة قد يُفهَم منها أنّها تنطوي على إساءة إلى طوائف أو فئات أخرى، ومن المهمّ مراعاة التزامات الخطاب وضوابطه المعروفة في هذا الصدد.

* ينبغي التركيز على وصف ما يجري بصفة أنّه عدوان على شعب تحت الاحتلال والحصار وانتهاك جسيم للمبادئ والقيم والأخلاقيات والشرائع وأنها حرب إبادة، وتجنُّب لغة المواكبة الميدانية والسياسية والتحليلية التي لها مقاماتها الأخرى.
* ليس مطلوباً من منبر المسجد، في الخطبة أو غيرها، إصدار تعبيرات إدانة وشجب واستنكار بشأن الأحداث والوقائع في أيِّ اتجاه كان.
* يجدر الدعاء للأهالي في فلسطين وأن يُدفَع العدوان والأذى عنهم، مع تحاشي أي تعبيرات قد يُساء تأويلها في هذا الصدد، مع الحذر من أنْ يأتي في الدعاء ما يمثِّل انتهاكاً لاعتبارات تقتضيها الأنظمة القانونية وأعراف البيئة الأوروبية التي يتحدّث منها الخطيب أو قد تُعدّ غير ملائمة لمقام الخطابة والدرس والوعظ.
* تبقى مضامين الخُطَب والدروس والمواعظ التي يُقدِّمها الأئمّةُ والخطباء عرضةً للاجتزاءِ في مقاطع متداولة في الشبكات وتطبيقات التواصل، وقد يعزلها هذا الاجتزاء بصفة غير أمينة عن سياقها الأصلي؛ فتتسبّب أحياناً بسوء

الفهـم أو إسـاءة التأويـل في بيئتهـا المحليـة أو في بيئـات أخـرى في العـالم قـد تبلغهـا هـذه المضامـين المُجتـزَأة، وقـد تُوضَـع هـذه المقاطـع والمقتطفـات في سـياقات أخـرى لا تتوافـق مـع الأصـل ولا تنسـجم مـع المقصـد. يجـدُر مراعاة هـذا التحـدِّي في الخطاب والمخاطبـة، والحـرص بعنايـة فائقـة عـلى التحـوّط مـن سـوء الفهـم، والحـذر مـن الاجتـزاء المشـوّه الـذي يتعمّـد التحريـف أو التزييـف أو المبالغـة، وهـذا مـا يفـرض مزيـداً مـن العنايـة بضبـط مضامـين الخطـاب وأسـاليب المُخاطبـة قـدر الإمـكان، ومحاولـة درء احتـمالات سـوء الفهـم أو إسـاءة التأويـل التـي قـد تطـرأ لأيِّ سـبب كان.

قال تعالى..

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾

سورة البقرة ٢١٤.

الموضوع الأوّل

«الابتلاء واليقين»

فقد شهدنا الفَواجِعَ الرهيبةَ التي أُنْزِلَت بغزّةَ وأهلِها .. وعايَشْنا المآسيَ الفظيعةَ التي ألحقَتْها حربُ الإبادة بالأهالي .. تواصلَ القتلُ الجماعيُّ على مدارِ الساعة .. قَتْلٌ رأينا مَشاهدَه الوحشية .. وسَمِعْنا أصداءَهُ المدوِّية عبرَ الشاشاتِ والشبكات .. ولا يُعبَأ فيه بمحكمة العدلِ الدولية وما تقرِّره .. ولا بمواثيقِ البشرِ وقوانينِ الحربِ ونداءاتِ الضمائر ..

كُنّا نَعُدّ الضحايا من قبل بالأفراد .. فَصِرنا نَعُدّ المجازرَ بالعشراتِ في كلِّ يوم وليلة .. وفي كلِّ مجزرة منها حشدٌ من الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ والمرضى .. سُحِقوا سحقاً وصاروا أشلاءً في رمشَةِ عيْن ..

واستمرأ الغزاةُ نَبْشَ القبور .. وإخراجَ الجثامينَ من المقابر

.. والاستيلاء عليها .. مَن بِوُسْعِهِ أنْ يتصوّرَ هذا في العصرِ الحديث في القرن الحادي والعشرين! جيشٌ يُطاردُ الأضرحةَ والجثامين .. ينتهكُ حُرمةَ الأموات .. ويعيثُ في المدافنِ فساداً وتخريباً .. جيشٌ يُطارِدُ الإنسانَ الفلسطينيَّ حيّاً وميِّتاً ..

ومن هوْل ما جرى أنّ مستشفياتِ قطاعِ غزّةَ صارت مُحاطَةً بالمقابرِ الجماعية .. التي تتزايدُ في ساحاتها وجَنَباتِها لاستيعاب الأعدادِ الهائلة من الذين فتكت بهم حربُ الإبادة .. ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيم ..

لا ريْبَ أنّ حربَ الإبادةِ ابتلاءٌ عظيم .. ومِحنةٌ قاسية .. وهي مخاضٌ شاقٌّ تكبّد عناءَه هذا الشعبُ المُصابِر .. الذي قاسى ويلاتِ العدوان ومرارةَ الخُذلان .. هو مخاضٌ على طريقِ الحُريةِ المُعَبّدِ بالتضحياتِ الغالية .. فإنّ المتأمِّلَ في سِيَرِ الأُمَمِ وتَجارِبِ الشعوبِ التي نَهَضَت لانتزاع حقوقها واسترجاع حريّاتها .. يُدْرِكُ أنّ طُغيانَ عَدوِّها الغاشم .. كثيراً ما جاءَ إيذاناً بأفولِه .. وأنّ إسرافه في التوحُّشِ والتقتيلِ والتدميرِ هو من إرهاصاتِ اندحارِه وانكفائِه ..

وإنّ ما يَقَعُ في هذه الحربِ العدوانية من الأذى البالغِ على

شعبِ فلسطين .. هو فَوْقَ هذا للمؤمنين بشارةٌ بحُسْنِ ثوابِ الآخرة .. قال تعالى في مُحكَم التنزيل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلوا الجَنّةَ وَلَمّا يَأْتِكُم مَثَلُ الذينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَسَّتْهُمُ البأساءُ والضّراءُ وَزُلْزِلوا حتّى يَقولَ الرَّسولُ والذِّين آمَنوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ الله ألا إنّ نَصْرَ الله قَريب﴾ سورة البقرة ٢١٤.

وفي الحديث المتفق عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يُصيبُ المسلمَ من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتّى الشوْكَةُ يُشَاكُها إلاّ كَفَّر الله بها مِن خطاياه).

فإنْ كان هذا بشأن شوكة يُشاكُها المؤمن .. فلنا أن نتصوّر ما يمنحه الله تعالى لمن ابتُلوا بالتقتيلِ والجِراح والتدميرِ والتشريد والتجويع والتعطيش ..

إنّ الإيمانَ بالله تعالى والثِّقَةَ بصِدقِ وَعده عزّ وجلّ .. يمنَحُ الإنسانَ المُبتَلى .. والشعبَ الذي مسّهُ الضُرّ ثباتاً وصلابةً على ما أصابه .. وفي هذا خيرُ تعزيةٍ وسَلْوى ..

وفي ما رواه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لِأَمْرِ المُؤمِنِ، إنّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لهُ خيْر، وليسَ ذلك لأحدٍ إلاّ للمؤمن: إنْ أصابتهُ سرّاءُ شَكَرَ فكان خيراً له، وإنْ أصابتهُ

ضرّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له).

ومَنْ يُقلِّبُ النظَرِ في أحوالِ أهلِ غزّة .. يجدُ تعبيراً عن هذه المعاني العظيمة

وقد قيلَ لكهلٍ غزِّيّ: كيف تحتملون مواصلةَ العيْشِ تحت كُلِّ هذه الظروف القاهرة؟ .. السائلُ صحفيٌّ من قناةٍ إخبارية معروفة، فجاءت الإجابةُ وجيزةَ المبنى بليغةَ المعنى عظيمةَ المغزى .. نَنْقُلُها حرفياً .. يُجيبُ الرّجلُ ردّاً على سؤال: كيف بوسعكم مواصلةُ العيْشِ وتدبيرُ حياتِكُم في ظِلِّ هذا الواقعِ الصعب .. فلا موادّ تموينية متوفِّرة .. ولا طحين .. ولا دقيق .. ولا وقود .. ولا غاز؟ .. يجيب الرجل بأنْ رَفَعَ إصبعَ السبّابةِ إلى الأعلى بطُمَأنينةٍ ظاهرة .. قائلاً بيقينٍ بالله تعالى: «لنا الله .. لنا ربُّنا .. اللهُ موجود .. هو الرزّاق .. لا توجد مشكلة .. هم يقصفون ويُدمِّرون ويَضرِبون .. مَن يَمُت – أي مَن يقتله الغزاةُ المُعتَدون – فهو شهيد .. يرحمه الله .. ومن يَعِش يُواصلْ المشوار .. يُكمِلْ المشوار .. هُم إلى زوال ونحن باقون».

إنّ ما قالَه هذا الكهلُ الغزِّيّ في موقِفه العظيم وعباراتِه

السديدة .. هو عِظَةٌ بليغة .. ما أحوجنا إلى استلهامِها والتفكُّرِ بها في مصاعبِ
الحياة ووُعورةِ الطريق .. إيماناً ويقينا .. صبراً واحتسابا .. تضحيةً واحتمالا .. أملاً واستبشارا ..

فإنْ وَجَدنا هذا مِمّن تُزَلْزَلُ الأرضُ من تحتِ أقدامهم كما لا يحدثُ في أيِّ بقعةٍ أخرى على ظهر كوكبنا .. ووجدناهُ مِمّن هوَت السقوفُ فوْقَ رؤوسِهم .. وفقدوا كثيراً من أحبّتهم وذَويهم بين عَشِيَةٍ وضُحاها .. فما عسى الواحدُ مِنّا أن يقولَ – ونسألُ اللهَ العافية – إنْ أصابَهُ وَصَبٌ أو نَصَب .. أو طرأ عليه هَمٌّ أو حَزَنٍ .. أو ألمّ به أذًى أو غَمٍّ ممّا هو دون محنةِ ذلكم الرجل الغزيّ بمراحلَ وأشواطٍ؟! ..

«الجرائمَ ضدّ الإنسانية انتهاكٌ للإنسانية جمعاء وليس لضحاياها المُباشِرين. منحَت الفظائع الرهيبة التي مورست في قطاع غزة شهادةَ إخفاقٍ مؤكّدةً لعالمنا في امتحانٍ أخلاقيٍّ مشهود»

الموضوع الثاني

تشجيع الوحشية وتبرير الإبادة!

تصرّمت الأيّام ومضت الشهور .. دون أن يُوْقِفُ عالمُنا
مذابحَ رهيبةً جرت في فلسطين ..
تُرِكَت آلةُ الإبادةِ تتقدّم فوقَ الأشلاءِ والأنقاضِ في غزّة ..
فوق أبدانِ الصِّغارِ والنساء والمُسنِّين والمرضى ..
شاهدَ العالمُ بأمِّ عينيْه حشودَ الضحايا العُزّلِ وهُم يقُتَلون
لحظةً بعد لحظةٍ بغير حقّ ..
اكتشفت الضمائرُ الحيّةُ في كلِّ مكان .. وحشيّةَ السياسات
التي تسمحُ بالمروقِ من الإنسانية .. وتتهاونُ مع الفظائع أو
تدعمُها وتبرِّرها .. وتعتبرُ الجاني ضحيّةً وتعُدّ الضحيةَ هي
الجاني ..
هي أزمةٌ أخلاقيةٌ مُتفاقمة .. ومعضلةٌ قيميةٌ مُستعصية ..

تَحَدّت عالمنا .. وانتهكت إنسانيّتَنا ..
ولن يُدرِكَ هذه الحقيقةَ مَن أشاحوا بوجوهِهم بعيداً عمّا يجري .. ألا يَرَوْن ما نرى .. أم على قلوبٍ أقفالُها ..؟!
شُقّت الأخاديدُ في الأرضِ كلّ يوم .. لتحتوي جثامينَ الأبرياءِ المتكوِّمةَ بعضها فوق بعض .. كي تصيرَ الأخاديدُ مقابرَ جماعية .. تحتَ سمعِ العالمِ وبصره ..
حُمِلَ المرضى فوق عرباتٍ بدائية تجرّها الدوابّ .. بعد أن قُصِفت سيّاراتُ الإسعافِ وعُطِّلت ..
نُقِلَت الجثامينُ في جرّافاتٍ أو عرباتِ شحن .. ولم يسلَمُ كثيرٌ منها من القصفِ والاستهداف ..
تُرِكَ الأطفالُ مع أمّهاتهم وجدّاتهم .. تُرِكوا أيّاماً بلياليها تحت أنقاضٍ أُسقِطَت فوقَ روؤسهم .. تُرِكوا عالقين تحتها ليلةً بعد ليلة في الشتاء .. إلى أن تقرّحَت جلودُهم .. وجفّت أبدانُهم.. وانقطعت أنفاسُهم .. وأسلموا الرُّوحَ إلى بارئها ..دون أن يتمكّن أحد من انتشالهم مِن قبلُ ومِن بَعْد ..
وإنّك لترى طفلةً صغيرة .. وقد نجت وحدَها بعد أن سَحَقَ القصفُ الهمجيُّ أُسرَتَها وأجهزَ على أقاربِها عن آخرِهم ..

وحشيةٌ تراءت للعالم أجمعَ على مدار الساعة .. ثمّ يدّعي أربابُ هذا النهجِ الآثم .. أنها مِن فِعْلِ الحضارةِ والتحضُّر .. ومِن مسالكِ الخيرِ والنورِ والإنسانية ..!

إنّ درْسَ غزّةَ المؤلمَ .. يَفْرِضُ على كُلِّ صاحبِ ضميرٍ ومبدأ .. أن يرفعَ صوتَهُ كي يُنظَرَ إلى قيمةِ الحياةِ الإنسانيةِ والكرامةِ البشريةِ على قَدَمِ المساواة .. كي لا يُوضَعَ بعضُ البشرِ فوقَ بعضٍ في المرتبةِ والحقوقِ والاهتمام.

وقد صار واضحاً أنّ هذا كلّه ما كان ليُسمَحَ بقسطٍ منه .. لو أنّه مسّ أُمماً أخرى .. وكأنّ حياةَ البشر لا تتكافأ .. وأرواحَهم لا تتساوى .. وكرامتَهم لا تتعادل ..!

إنّنا شهودٌ على هذه الاستهانةِ المُريعةِ بحياةِ البشرِ وكرامةِ الإنسان .. بهذه الإبادةِ المرئيةِ للعالم أجمعَ بالصوْتِ والصورةِ والبثِّ المباشر .. فهل ما أُوْقِعَ على غزّةَ وفلسطينَ من الإبادةِ يُقبَل به في غيرها؟

سؤالٌ مؤلمٌ .. يَفْرِضُ على كلّ حُرٍّ أن يَقْرعَ نواقيسَ الخطرِ في عالمٍ يتسامَح مع ما يجري ويلتمسُ له الأعذار؟

ذُبِحَ الإنسانُ في غزّةَ في كلِّ دقيقة .. وتواصلَ ذبحُهُ موسماً

مديداً بحيالِه .. ومن نافلةِ القوْلِ أنّ المأساةَ الرهيبةَ في قطاع غزة .. لم تتشكّل بفعلِ كارثةٍ طبيعية؛ فهي نتاجُ سياساتٍ ظالمة .. ومواقف جائرة .. وتواطؤاتٍ ذات أثر قاتلٍ ومُدمِّر .. ولا ينبغي التهاوُنُ معها أو السماحُ باستمرارِها.

كيف لعالمِنا أن يُشَغِّلَ قيَمَهُ ومبادِئَهُ ومواثيقَهُ بصفةٍ انتقائية متحيِّزة، وأن لا تتكافأ فيه أرواحُ البشر .. أو تتساوى فيه حقوقُهم وحريّاتُهم وكرامتُهم؟
خَذَلَ النظامُ الدوليُّ شعباً مُستضعَفاً اقتُلِعَ قسْراً من أرضِهِ وديارِه .. شعباً سُلِبَ حرّيتَهُ وحقوقَهُ وسيادتَهُ وفُرِضَ عليه الاحتلالُ والقهرُ والتشريدُ والحصارُ والعبوديةُ جيلاً بعد جيل ..

سَمَح عالمُنا المكلّلُ بشعاراتِ الإنسانيةِ والرأفة .. ومواثيقِ الحقوقِ وكرامةِ البشر .. بإيقاعِ كُلِّ هذه المآسي وباستمرارِها وتعاظُمِها .. سمَحَ لجيشِ الغُزاةِ بأن يهاجمَ المستشفيات .. ثمّ تركَ الأطفالَ الرضّعَ المرضى وحدَهم فيها .. حتى ماتوا عطشاً وجوعاً وتحلّلت أبدانُهم ..

سـمَحَ عالمنـا لجيـشِ العـدوان .. بـأن يسـتفردَ بالبـشرِ الأبريـاءِ مـن الشـيوخِ والأطفـالِ والفِتيـة .. فقتلهـم في كلِّ يـومٍ برصاصِـهِ الغـادر وهـم يَفِـرُّون في الطرقـاتِ مـن القَتْلِ إلى القَتْل .. يلـوذون بالإبـادةِ مـن الإبـادة .. ثـمّ تـركَ الغـزاةُ هـذه الأبـدانَ عـلى قارعـةِ الطريـق حتـى تحلّلـت عـن آخرِهـا وصـارت جماجـمَ متناثـرةً وهيـاكلَ عظميـةً تعلوهـا أثـوابٌ مخضّبـةٌ بالـدّم ..

وهـذا كلُّـه قليـلٌ مـن الفواجـعِ الرهيبـة التـي شـاهدناها بـأمِّ أعيننـا .. وبعضُهـا لا يُـكادُ يُصـدَّقُ مـن بشـاعَتِهِ وهَوْلِـه ..

وقـد تعـيّن التذكـيرُ في هـذا المقـام .. بـأنّ الجرائـمَ ضـدّ الإنسـانية انتهـاكٌ للإنسـانية جمعـاء وليـس لضحاياهـا المُباشِريـن .. الذيـن تُسـلَبُ حقوقُهـم في الحيـاةِ والأمـانِ والحريّـةِ والكرامـةِ الإنسـانية في قطـاعِ غـزة أو غـيره.

ومِـنَ العواقـبِ المفزعـةِ للسـماح بهـذهِ الفظائـعِ .. أنّـه يختَـطُّ نهجـاً تبريريـاً لأيِّ حملـةِ إبـادةٍ وتطهيرٍ عرقـيٍّ وجرائمِ حـربٍ وانتهاكاتٍ جسـيمة .. قـد يستسـهلُ أيُّ طـرفٍ جائـرٍ في عالمِنـا الإقـدامَ عليهـا في الحـاضرِ أو المسـتقبل.

إنّ العالم الذي يُحدِّد موْقفَه من الفظائع طبقاً لهُويّةِ الجاني وهُويّةِ الضحية .. هو عالمٌ لا أمانَ فيه ولا حقوق ولا عدالة ..

شَهِدْنا مذابحَ رهيبة .. مذابحَ اقترفتها آلةُ حَربٍ وإجرام .. على مرأى من العالم .. شَهِدْنا قتْلاً جماعيّاً .. تدميراً شاملاً .. حِصاراً وقهْراً وتجويعا .. والحصيلةُ هائلةٌ .. من الضحايا الأبرياء .. آلافُ الضحايا من الأطفالِ والنساءِ والمرضى وذوي الإعاقة .. من الأطباءِ والمُسعفينَ والصحافيينَ وعاملي المنظّماتِ الإنسانيةِ الدولية .. دون أن تُوْقفَ الإبادة أو تُكْبَحَ الجريمة ..

تسارعت حملاتُ التهجيرِ القسريِّ تحت القصفِ والتهديد .. كي تدفعَ اللاجئين الفلسطينيين إلى رحلةِ لجوءٍ جديدة .. ولم يَتَصَدَّ المجتمعُ الدولي لممارساتِ التطهير العرقي التي جرت تحت أسماعِه وأبصارِه.

حُرِم شعبٌ بحيالِهِ مقوِّماتِ الحياة .. وقُطِعَ عنه الماءُ والغذاءُ والدواءُ والوقودُ والكهرباءُ والاتصالات .. وتُرِكَ فريسةَ موْتٍ جماعيٍّ نهشَهُ نهشاً .. فتَكَ به قتْلاً وسَحقا .. عطَشاً

وجوعا .. مَرَضاً ووباءً .. حتى صارت غزّةُ مقبرةً للأطفال .. مقبرةً للنساء .. مقبرةً للشيوخ .. مقبرةً للمرضى .. وصارت مستشفياتُها مدافنَ جماعية .. وموئلاً للتهلُكة .. ومسرحاً للدبابات .. ووجهةً للقصف الوحشي ..

كيف لعالمٍ يرفَعُ لواءَ الديمقراطيةِ وحقوقِ الإنسانِ وكرامةِ البشر .. كيف له أن يتواطَأَ مع كُلِّ هذه المآسي .. كيف غَضّ النظرَ عن مأساةِ الأطفالِ الخُدّج.. إنّهم أطفالٌ وُلِدوا في مستشفياتِ غزّةَ قبل الأوان فَحُبِسَت عنهم أجهزةُ التنفّسِ وضروراتُ التغذية .. وتُرِكَوا نهشاً للموت البطيء ..

إنها مأساةٌ واكبَها العالمُ أجمعُ بالصوْتِ والصورة .. واكبَها يوماً بيوم وساعة بساعة .. دون أن يتدخّل لوقْف قتْلِ هؤلاءِ الأبرياءِ الذين قُطعت عنهم أجهزة التنفُّس ومُتطلّباتُ الرِّعايةِ اللازمةِ لبقائهم على قيْدِ الحياة، فشوهِدوا يموتون واحداً واحداً.

لم تتوقّفْ المقتلةُ الفظيعةُ المرئيّةً عبر الشاشات .. بحقِّ أطفالٍ ونساءٍ ومرضى وجرحى .. ومُسنِّين ومدنيين أبرياء .. منحَت هذه المأساةُ شهادةَ إخفاقٍ مؤكّدةً لعالمنا في امتحانٍ أخلاقيٍّ

مشـهود ..

وإنّ المـرءَ ليعجـب! .. فكيـف للسياسـةِ الأوروبيـةِ والدوليـة .. أن تتقاعَـس عـن إلـزامِ سُـلطةِ عـدوانٍ واحتـلال .. بـما هـو مُقـرّرٌ في المواثيـقِ والقوانـينِ والقـراراتِ الدوليـة .. بشـأنِ إنهـاءِ الاحتـلالِ ووقْـفِ الانتهـاكات القاتلـة .. والكـفِّ عـن سَـلْبِ الأراضي وتشريـدِ السُّـكانِ مـن أرضِهِـم وديارِهـم وإقامـةِ المسـتوطنات غـير الشرعيـة مكانهـا.

لم يُكـترَثْ بنـداءاتِ استغاثةٍ إنسـانيةٍ مُتواليةٍ من غزّة .. ولم يُستمَع لبلاغـاتِ تحذيرٍ أطلقتهـا هيئـاتٌ دوليـة ومنظّـماتٌ حقوقيـة .. ولم يُلتفَـتْ لصيْحـاتِ ضمائـرَ مـن أنحـاءِ العـالم .. فاستمرّت المذبحـة .. وتواصلـت المقتلـة .. وتعاظمـت المجـزرة ..
تملّـكَ الذهـولُ شـعوباً وجماهـيرَ وأجيـالاً .. اكتشـفت أنّ عالمهـا يَسـمَحُ بـكلِّ هـذا المـروقِ مـن الإنسـانية .. وأدركـت أنّ مِنَصّـاتِ سياسـةٍ وأبـواقَ إعـلامٍ تنهمـكُ في تشـجيعِ الإبـادةِ ودعـمِ المأسـاةِ .. وتوفِّـرُ الذرائـعَ السـاذجةَ لجرائـمَ ضـدّ الإنسـانية.

إنهـا أزمـةُ أخـلاقٍ ومعضلـةُ قيَـم .. فبـأيِّ منطـقٍ تُسـتدعَى القيَـمُ

والمبادئُ والمواثيقُ أو تُعطّل .. بصفةٍ انتقائية سافرة .. حسب أولويّات السياسة واتجاهات المصالح؟ وكيف تُستغلّ بعضُ القيَم والمبادئُ بشكلٍ سافرٍ لتبريرِ الإجهازِ البشِع على الأبرياء؟ وكيف يُقتَلُ الإنسانُ باسم الإنسانية؟ وكيف يُبَثّ الرُّعبُ باسم السلام؟ وكيف يُجْهَزُ على الطفولةِ باسم الطفولة؟ وكيف سُمِحَ لنهجِ الإبادة بأنْ يستأثرَ بأوصافِ «الحضارة» و«التحضُّر» .. بشعارِ «الإنسانية» و«النور» .. وهو نهجٌ آثِم .. يقترفُ الفظائعَ وينتهك الحُرمات .. نهجٌ يَنْزَعُ الإنسانيةَ وينفي التحضُّرَ ويُنكِرُ الأخلاقَ عن شعبٍ يستهدِفُهُ بالقتلِ والتشريدِ والتدميرِ والترويع؟!

«إنّها لحظةٌ كاشفةٌ في تاريخ الأُمَم، على عالمنا أن يتداعَى فيها إلى كلمةٍ سَواء، يُعْلِنُ فيها أنْ لا مكانَ في عالَمٍ مُتحضِّرٍ لفَصْلٍ عُنصريّ أو تطهيرٍ عِرقيّ أو أعمالٍ إبادة. وستكون فلسطين اختباراً عملياً لهذه المبادئ وامتحاناً مرئياً لهذه القيَم».

الموضوع الثالث

مسّتهُم البأساءُ والضرّاءُ وزُلزِلوا

أفلَحَ العدوانُ في القتل والتدمير دون أن ينجح في كسر الإنسانِ وإرادته ..

فشعبُ فلسطينَ العزيز .. أهلُ غزّةَ الكرام .. لا يَركَعُون إلاّ لله الواحدِ القهّار ..

شَعْبُ غزّة .. صارَ مثالاً في عالمنا لكرامةِ الإنسان وعِزّةِ نَفْسِه وأصالةِ مَعْدِنِهِ وصلابَةَ إرادتِه ..

أمّهاتٌ وآباء فُجِعوا بأحبّتهم لكنّهم استلهموا العَوْنَ من الله ذي القوّةِ المتين .. حَمَدوا الله تعالى على ما أصابهم .. ورفعواَ أصَواتَهم بالتكبير .. وقد علّموا البشرية جمعاء بهذا الموقفِ المشهود .. دروساً مرئيّةً في احتمالِ الضغوطِ واحتسابِ الفَقْد عند الله تعالى ..

قدّمت غزةُ لنا خيرَ قدوة .. علّمتنا كيف يرتقي الواحدُ منّا فوق ألمِه وجَزَعِهِ وفَزَعِه .. وأن يستصغرَ ما يُعايِشُهُ من هَمٍّ أو غَمّ .. أو مُصابٍ أو مَرَضٍ أو عناء.. فكلُّه يَهون قياساً بخبرةِ طفلٍ يُنتَشلُ من تحت الأنقاض أو مأساةِ رضيعٍ أو فاجعةِ أمٍّ أو محنَةِ جدّة ..

حُقّ لنا في مجتمعاتِ الأرضِ أن نتعلّمَ من غزّة .. أن نتعلّمَ من ناسِها .. أن نتعلّمَ من رجالها وشيوخِها .. أن نتعلّمَ من الأمّهاتِ والجدّات .. من الأطفالِ والأحفاد .. كيف يكونُ الصبرُ .. وكيف يكون الثباتُ .. وكيف تكون العِزّةُ .. وكيف تكون الكرامةُ ..

نتعلّم من غزة .. وكفى بِغزّةَ مُعلِّماً لمن طَلَب الدرس ..

وكفى بغزّةَ واعِظاً لمن طَلب الوعظ ..

هي تُعلِّمنا ما لا يُعلّم في المدارس .. وما لا يُعرَضُ في المعاهد .. وما لا يُدرّسُ في الجامعات ..

هي تُشِعّ علينا مِن هناك .. مِن وراءِ الأسوار .. مِن قلْبِ الأشلاء .. مِن فوْقِ الأنقاض .. مِن بيْن الأطلال .. من بينِ

المقابر الجماعية .. تُشعّ علينا بمعنى الثباتِ في زمنِ التردِّي .. بمعنى العزيمة في زمن الانكسار .... بمعنى الارتقاء في زمن الانحدار .. بمعنى الإصرار في زمن التهاوُن .. بمعنى الرّصانةِ في زمنِ التفاهة ..

هي تُلَقِّنُنا .. وتَلَقِّنُ أُمَمَ الأرض .. وأجيالَ العالم .. دروساً في الحُرِّية .. التي تترَبّعُ على العبودية .. دروساً في الكرامة .. التي تستعلي على المهانة .. دروساً في الاحتمال .. الذي يتأبّى على الانكسار ..

هي غزّةُ .. التي تحتسب آلامَها وأوجاعَها عند الله .. فلا تلتفِتْ إلى جراحٍ غائرة ولا تبتئس لأنقاضٍ متراكمة .. وإن انهمرت الدموع على أحبّةٍ من الصِّغارِ والكبار .. يَفتِكُ بهم عدوانٌ وحشيٌّ وَجَدَ مَن يشجِّعونَهُ ويُؤيِّدونَهُ ويبرِّرونَ فظائعه ..

لكنّها غزّةُ العزيزةُ الكريمةُ الشامخة .. كم دمّرَ العدوانُ بيوتَها مِن قَبْلُ .. فابْتَنَتها غزّةُ من بعدُ صابِرةً محتسبةً .. كم سُحِقت منازلُها فارتفعت من جديدٍ شامخةً فوْق ما كانت عليه .. كم

قُصِفَت مساجدُها وقبابُها ومآذنُها .. فشُيِّدَت مِن جديدٍ ليُذكَرَ فيها اسمُ الله كثيراً ..

إنها غزّةُ وهذا حالها .. جولةً بعد جولةٍ .. وإنْ عاد الغزاةُ إلى التدمير عادت هي إلى التعمير .. غزّةُ تُحِبُّ الحياة .. لكنّها تحبُّها حياةً حُرّةً وتريدُها حياةً كريمةً وتطلبُها حياةً عزيزة .. غزّةُ تحبُّ الحياة التي تُسلَبُ منها بالقتلِ والعطشِ والجوعِ والمرضِ والوباء .. لكنّها لا تُفرِّطُ بالحقوقِ ولا تُساوِمُ عليها .. غزّةُ تُعلِّمنا .. أنْ لا نَبْتَئِس .. وإنْ مسّتنا البأساءُ والضرّاء .. أنْ لا نجزَعَ .. وإنْ بلغت القلوبُ الحناجرَ وزُلزِلنا .. هي التي أدرَكت معنى «الله أكبر» كما لم يُدرِكْها آخرون .. فتقزّم جبروتُ العُدوانِ في عيونِ صغارِها .. هي التي تستمدُّ قوّتها من القويِّ المتين .. فصارَ ضعفُها المشهودُ مارداً مِن الإرادة .. بعونِ الله ومدَدِه.

يا لأمّهاتِ غزّةَ الشامخات .. وقد أدرَكْنَ أنّ الحريةَ تنتصرُ بثباتهنّ .. وأنّ العدالةَ تتحقّقُ باحتسابهنّ .. فآلةُ الحربِ الوحشيةُ طاردَت أطفالاً من فَرْطِ خيْبتها .. ومَن يسفك

دماءَ الأبرياءِ يوْماً بعد يوْم .. ولحظةً بعد لحظة .. في غارات القصفِ الهمجيّ .. مهزومٌ بلا ريْب .. فسيخسَر جوْلَةَ الدُّنيا قبل مآلِ الآخرة .. وإن أوتي آلةَ الفتكِ والتدمير.

قولوا لأعداءِ الحياة .. إنْ سَحَقْتُم الأبدانَ فلن تنزَعوا الإيمان ولن تَكسِروا الإنسان .. هي الأجساد التي تَسْقُطُ وليست الإرادة .. يسقط الجسدُ وترتقي الرُّوح .. وإنّنا لنَحْسَبُ أنهم أحياءٌ عند ربِّهم يُرزَقون.

ومِن عجائبِ الزمان أن يَقولَ الأدعياء .. إنّ التوحُّشَ الذي يَصُبُّونَه حِمَماً على رؤوسِ الأطفالِ والنِّساءِ والمرضى في غزّة .. هو رَدُّ العالمِ المتحضِّرِ على أعداءِ الحضارة ..!

أيُّ منطقٍ هذا؟

أيُّ إساءة للحضارة .. أن تُستعمَلَ حُجّةً للتدمير؟!

أيُّ إهانةٍ للإنسانية .. أن تُوظّفَ ذريعةً للتقتيل؟!

أيُّ ازدراءٍ للسّلام .. أن يُتّخذ ستاراً للعدوان؟!

إنّها لحظةٌ كاشفةٌ في تاريخِ الأُمَم .. على عالمنا أن يتداعَى فيها إلى كلمةٍ سواء .. يُعْلِنُ فيها أنْ لا مكانَ في عالَمٍ مُتحضِّرٍ لفَصْلٍ عُنصريّ .. أو تطهيرٍ عِرقيّ .. أو أعمالِ إبادة. وستكون فلسطين

اختباراً عملياً لهذه المبادئ .. وامتحاناً مرئياً لهذه القيَم.
تعالَوْا إلى كلمةٍ سواء .. تُعلَى فيها العدالة .. وتُنْصَرُ فيها الحُرِّية .. تُصانُ فيها الدِّماء .. ويُساوَى فيها بين البشر.

جُعِل قطاعُ غزةَ .. سجناً للبشر .. لشعبِ اللاجئين .. لمليونِ طفلٍ مع أمّهاتهم .. بعد أن أُخرج هذا الشعبُ من ديارِهم بغيْر حقّ .. .. شرّدتهُم النكبةُ المريرةُ .. نَزَع التطهيرُ العرقيُّ منهم الأرضَ والدِّيار سنةَ ثمانيةٍ وأربعين وتسعمائة وألف .. صَدَرَت لهم ولشعبهم قراراتُ الأمم المتحدة .. التي تؤكِّد حقّهم في العوْدة إلى أرضِهم وديارهم .. دون أن تنتصرَ لهم قوى العالم أو تَنْتَصِف .. صارت مخيّماتُهم المكتظّةُ سجناً مؤبّداً .. حوصروا فيه بين أسوارٍ عالية .. وساومهم الحصارُ على قوتِ يومِهم وجُرعَةِ دوائهم .. دون أن يُفْلِحَ في كسْر عزيمتِهم على إحقاقِ الحقّ .. أو تبديدِ إرادتهم على استردادِ العدالة .. أو كبْحِ إصرارِهم على دَفْعِ الظُّلْم والعُدوان .. إنّها حكايةٌ لا يَطمِسُها التزييف .. إنّها روايةٌ لا يُغيِّبُها التضليل .. فهَل مِن أمّةٍ في عالمنا ترتضي عيْشاً بلا حقوقٍ أو حياةً بلا كرامة؟ .. أو مستقبلاً بلا عدالةٍ أو أُفُقاً بلا حُرِّية؟

عجباً لمن نَحَتوا للحُريّة التماثيل .. وشيّدوا لها الصُّروح .. ثمّ تسابقوا إلى خُذْلانِها في فلسطين! عجباً لمن تغنّوْا بانتصار أممهم ثم يخذلون شعباً يطلبُ حريّته!

تهتِفُ جماهيرُ العالم في كلِّ مكان لحُرِّيةِ لفلسطين .. فتمنحُ عالَمَنا بصيصَ أملٍ بأنّ الضمائرَ حيّة .. والقلوبَ نابضة .. وأنّ التزييفَ لا ينطلي على ذوي الأفهامِ والأفئدةِ والضمائر.. ومِن واجبِنا جميعاً .. في هذه البلادِ وفي هذا العالم .. أن ندورَ مع الحقِّ حيث يدور .. وأن نمتثلَ للعدلِ في القوْلِ والعمَل .. فالسكوتُ عن القَتْلِ يُشجِّعه .. والصمتُ على القهْرِ يُفاقِمُه ..

ونقول لغزّةَ العِزّة .. ولأهلِها الكرام الشامخين الثابتين ..

يا أهلَ غزّة! .. يا أهل غزّة! .. استبشروا ببيْعِكم الذي بايعتم به .. وذلك هو الفوْز العظيم ..

صبراً آل غزة .. إنّ موعدكم القُدس .. إنّ موعدكم العودة .. إنّ موعدَكم الحرية .. ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعد ..

يا أهلَ غزّة! .. أيقظتم في عالمنا سؤالَ الأخلاق .. كشفتم أزمةَ القيَم ومأزق المبادئ .. سقط حاملو الشعارات وارتفعتم أنتُم

بإيمانِكُم الراسخِ وثباتِكُم المُلهِمِ وعزيمتِكِم الصلبة ..
إنْ خَذَلَتْكُم هيئاتُ الأمم .. فلن يخذلِكُم من يلتزمون المبادئ والأخلاقَ والإنسانية .. مِن الناس كافّة ..
يا أهلَ غزّة! قلوبُنا معكم .. وجدانُنا معكم .. مع كُلِّ طفلٍ سَحَقُهُ القصف .. مع كُلِّ رضيعٍ انتُشِل من تحتِ الأنقاض .. مع كُلِّ أمٍّ فُجِعَت بأحبّتِها ولا تقولُ إلاّ ما يُرضي ربّها .. مع كلِّ طبيبٍ ومسعف أنقَذَ الأرواحَ في هذه المذابحِ الرهيبة ولم يجد وَقْتاً لنوْمِهِ أو أداةً لاشتغالِه .. قلوبُنا مع كلِّ صحفي قُتِلَ ومع كلِّ مراسل أُبيدت أسرتُه .. ثم واصل أمانةَ البلاغ ليكشِفَ الحقيقةَ ويُبدِّدَ الزيْف ..

«التقاعُسُ يُشَجِّعُ المجازِر، والغفلةُ تؤجِّجُ المذابح، والسكوتُ يُفاقِمُ الإبادة، والخمولُ يُحَفِّزُ العدوان، ومَن يساندُ جرائمَ الحربِ يَصير شريكاً في الإثمِ والخطيئة».

الموضوع الرابع

فظائعُ غزّةَ تتحدّى مبادئ عالمنا

فقد عشنا موسماً مديداً مع غزّةَ وفلسطين .. عِشْنا أحداثَه وشاهَدْنا صُوَرَه .. سمعنا صوتَ غزّةَ وأحسَسْنا بنَبْضِ فلسطين ..

نقلتنا المشاهِدُ الحيّةُ إلى غزّةَ .. فرأيْنا الأهوالَ رَأْيَ العَيْن .. ففي كُلِّ لحظةٍ .. أُسَرٌ أبيدَت .. ومساكِنُ سُحِقَت .. وفظائعُ توالَت ..

انتُشِلَ الرّضيعُ حيّاً .. وأهلُه تحت الرُّكام ..

فقدَت الطِّفْلةُ عينيْها .. ولا زالت تحسَبُ أنّها غِشاوةٌ عابِرة ..

رأيْنا ناجينَ مِن قصفٍ أتى على أحبّتِهم وذويهم جميعاً ..

واكبْنا القصفَ الذي ترصّدَ الأهالي في كُلِّ شارعٍ وفي كلِّ رُكْن .. وحتى في المساجِدِ والكنائِسِ والمشافي والمخابِز .. قصفٌ

لاحَقَ الصحفيينَ وطارَد النازحينَ وتعَقّبَ المُسعِفين ..
وفي غزّةَ لا مكانَ لدفنِ الشهداء .. فالخيارُ هو المقابِرُ الجماعيةُ التي تتزاحَمُ فيها الأبدانُ المغدورة ..
وفي غزّةَ لا وَقْتَ للعَزاء .. فالضحايا تلاحَقوا والجثامينُ تعاقبَت .. ومَن اجتمعوا للعَزاءِ ظَلّوا هَدَفاً لقَصْفٍ وَحشيٍّ ألحَقَهُم بِمَن سبَقُوا ..
إنّ ما جرى في غزّة .. يُزلزلُ الضمائر .. ويهزُّها هزّا ..
فإبادةُ هذا الشعب .. جرت تحتَ أسماعِ العالمِ وأبصاره ..
تسارَعَت بالصوْتِ والصُّورةِ والبَثِّ المباشر ..
ثمّ وَجَدْنا فريقاً من النّاسِ انحازَ إلى الظُّلْمِ والعُدوان ..
ووَجَدْنا فريقاً آخرَ لا يَكْتَرِثُ بما يجري ولا يَلتَفِتُ إليه ..
وينبغي أن يُقال لهؤلاءِ وهؤلاء .. إنّ التقاعُسَ يُشَجِّعُ المجازِر ..
والغفلةَ تؤجِّجُ المذابح .. والسكوتَ يُفاقِمُ الإبادة .. والخمولَ يُحَفِّزُ العدوان ..ومن يساندُ جرائمَ الحربِ يَصير شريكاً في الإثمِ والخطيئة ..

أيُّ عالمٍ هذا الذي نعيش فيه .. الذي يَسْمَحُ بإلقاء ما يعادِلُ

عـدّةَ قنابـل نوويـةٍ عـلى بُقعـةٍ مـن الأرضِ يعيـش فيهـا مليـون طفـل؟!

موسـمٌ مديـدٌ مـن الإبـادة .. ولم يتحـرّكْ في ساسـةِ القـرارِ العالمـيِّ حِـسٌّ ظاهـرٌ ولا ضمـير يَقِـظ .. بـل شـاهدنا الضحيّـةَ تُـلام .. والمعتـدي المحتـلَّ يُشـجَّعُ ويبـارَك صنيعُـه ويُحتفَـى بـه .. كـم مِـن الضحايـا يحتـاج الغافلـون ليسـتيقظوا .. والسـاكتون ليَنْطِقـوا .. والخاملـون ليتحرّكـوا .. والقاعـدونَ لينهضـوا؟ّ تواصَلـت الإبـادةُ عـلى مـرأى مـن العـالمِ ومسـمَع .. وتجلَّـت معَهـا حقائـقُ مؤلمـةٌ .. فقـد تبـيّنَ أنّ قيمـةَ الحَيـاةِ الإنسـانية ليسَـت متسـاويةً في منطِـقِ عالمنـا .. وأنّ الكرامـةَ البشريـة لا تتكافَـأُ في منظـورِ واقعِنـا .. وأنّ الاكـتراثَ بالضحايـا الأبريـاء يجـري بصفـةٍ انتقائيـةٍ لا يمكِـنُ سَـتْرُها .. وأنّ بعـضَ البشَـرِ مـا زالـوا يُوضَعـونَ فـوْقَ بعـضٍ في المرتبـةِ والحقـوقِ والاهتـمام.

وقـد صـار واضحـاً أنّ السياسـةَ الدوليـة سـمحت بـكلِّ هـذا الرُّعـبِ القاتِـلِ .. وشـجّعَت ترويـعَ شـعبٍ مـن اللاجئـين .. المحرومـين مـن حقِّهـم المؤكّـدِ في الحريـةِ وتقريـرِ المصـيرِ والحيـاةِ

الكريمة .. سياساتٌ ومواقفُ حرّضت على حملةِ الإبادةِ وشجّعت التطهيرَ العرقي .. أو تهاوَنَت مع الفظائعِ وأطاحَتْ بالقوانينِ والمواثيقِ والشرائع.

إنّ عالماً يُقرِّرُ تشغيلَ قيَمِهِ ومبادِئِهِ حسب الأهواءِ والمصالح .. إنّ عالماً لا تتكافأُ فيه أرواحُ البشر أو تتساوى فيه حقوقُهم وحريّاتُهم وكرامَتُهُم؛ .. هو عالمٌ جائر .. لا يَمْتَثِلُ لشعاراتِه .. ولا يلتزم بمواثيقِهِ .. هو عالمٌ يُبحِرُ بعيداً عن السِّلم والأمان.

خذَلَ عالمُنا شعباً مُستضعَفاً .. شعباً اقتُلع من أرضِهِ وديارِه .. سُلِبَ حرّيتَهُ وحقوقَه .. فُرِض عليه الاحتلالُ والقهر .. والتشريدُ والحِصار ..

إنّ خطاباتِ التبريرِ التي سُمِعَتْ مِن منصّاتٍ دوليةٍ خلال حربِ الإبادة .. تكفي مثيلاتُها لإيقاعِ مقتلةٍ رهيبةٍ بأيِّ شعبٍ على وجهِ الأرض .. فمَنْطِقُها هو منطقُ الإبادةِ والتطهيرِ العرقي .. منطقٌ يُبَرِّرُ العدوانَ ويمجِّدُ مُقْتَرِفَهُ ويَلومُ ضحاياه .. أيُّ منطقٍ هذا الذي يُحَمِّلُ الضحايا المسؤوليةَ عن مصيرِهِم المُرعِب .. قتلاً وسحقاً وتعطيشاً وتجويعاً وتشريداً .. ويُبرِّئ

الجاني ويلتمسُ له الأعذار؟

إنّ الفظائعَ الرهيبةَ التي جَرَت على مرأى من العالم ومسمعٍ بحقٍّ أكثرَ من مليونيْ إنسانٍ في قطاع غزة .. معظمهم من الأطفالِ والنساء .. تمثِّل تحدِّياً للعالم أجمع، وتتطلّب يقظةً إنسانيةً عاجلة .. قبل فوات الأوان.

إنّ هذه المحنةَ الرهيبة .. ألْقَت علينْا بمسؤوليّاتٍ مُؤكّدة: ..
.. في أن نكون صوتاً لِشعْبٍ مقهور .. صُبَّت حِمَمُ القتْلِ فوْقَ رؤوسِهِ على مدارِ الساعة ..
.. في أن نكونَ صوْتاً للحقوق .. صوْتاً للعدالة .. صوْتاً للإنسانِ وكرامَتِه ..
كونوا عوناً للضمائرِ من حوْلكم .. كي تنهَضَ من سُباتِها وتتحرّكَ من غَفْلتِها ..
ليسَ غايَةَ التعاطُفِ أن نشاهِدَ المأساةَ ونذرفَ الدمْع .. بل أن نجعلَ هذا الحسَّ السويَّ .. وهذه العاطفةَ النبيلة .. دافعاً لإنصافِ فلسطينَ ومساندةِ شعبِها .. وحافزاً لرفعِ المظلمةِ عن غزّةَ وأهلِها ..

كان النـاسُ في مـا مـضى يسـمعونَ بـما جـرى بعـد فـواتِ أوانِـه .. لكـنّ عالَمَنـا اليـومَ يـرى الأحـداثَ أوّلاً بـأوّل .. ويواكبهـا في زمـن وقوعِهـا لحظـةً بلحظـة .. وهـذا يَفْـرِضُ عـلى النّـاسِ جميعـاً أن يُدرِكـوا مسـؤوليّاتِهم في الامتثـالِ لمقتضيـاتِ الحـقِّ والعـدل .. وأن يتداعَـوْا إلى وَقْـفِ آلـةِ العـدوانِ التـي تمـارِسُ الإبـادةَ والتطهـيرَ العرقـيّ .. بحـقِّ شـعبِ فلسـطين .. الـذي يَطْلُـبُ حقَّـهُ ويَنْشُـدُ حريّتَـهُ كغـيْرِهِ مِـن الشُّـعوب..

وإنّنـا إذ نَذْكُـرُ غـزّةَ اليـوم .. وقـد عِشـنا معهـا بأفئدتِنـا التـي تحـترقُ كَمَـداً عـلى أطفالِها ونسـائِها وشـيوخِها ومرضاهـا وأهلِهـا أجمعـين .. فإنّنـا نـرى في هـؤلاءِ الكـرامِ الشـامخين .. نـرى فيهـم أُسْـوَةً حسـنة .. في الصـبرِ والاحتسـاب .. والثبـاتِ والعزيمـة .. والشـهامةِ والتكافـل .. والإرادةِ التـي لا تنكـسر.
ففـي غـزّةَ .. تُسـحَقُ الأبـدانُ ولا يُهـزَمُ الإنسـان .. يُهـدَمُ البنيـانُ ولا يُنـزَعُ الإيـمان ..

لا عَجَـبَ أن تنتصـبَ غـزةُ اليـومَ مثـالاً سـاطعاً لشـعوبِ الأرض .. في عِـزّةِ أهلِهـا وأصالـةِ مَعدنهـا .. في ثباتِهـا المُذهِـلِ رغـمَ القصفِ

والترهيبِ والترويع .. والله غالبٌ على أمْرِهِ ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يَعلمون.

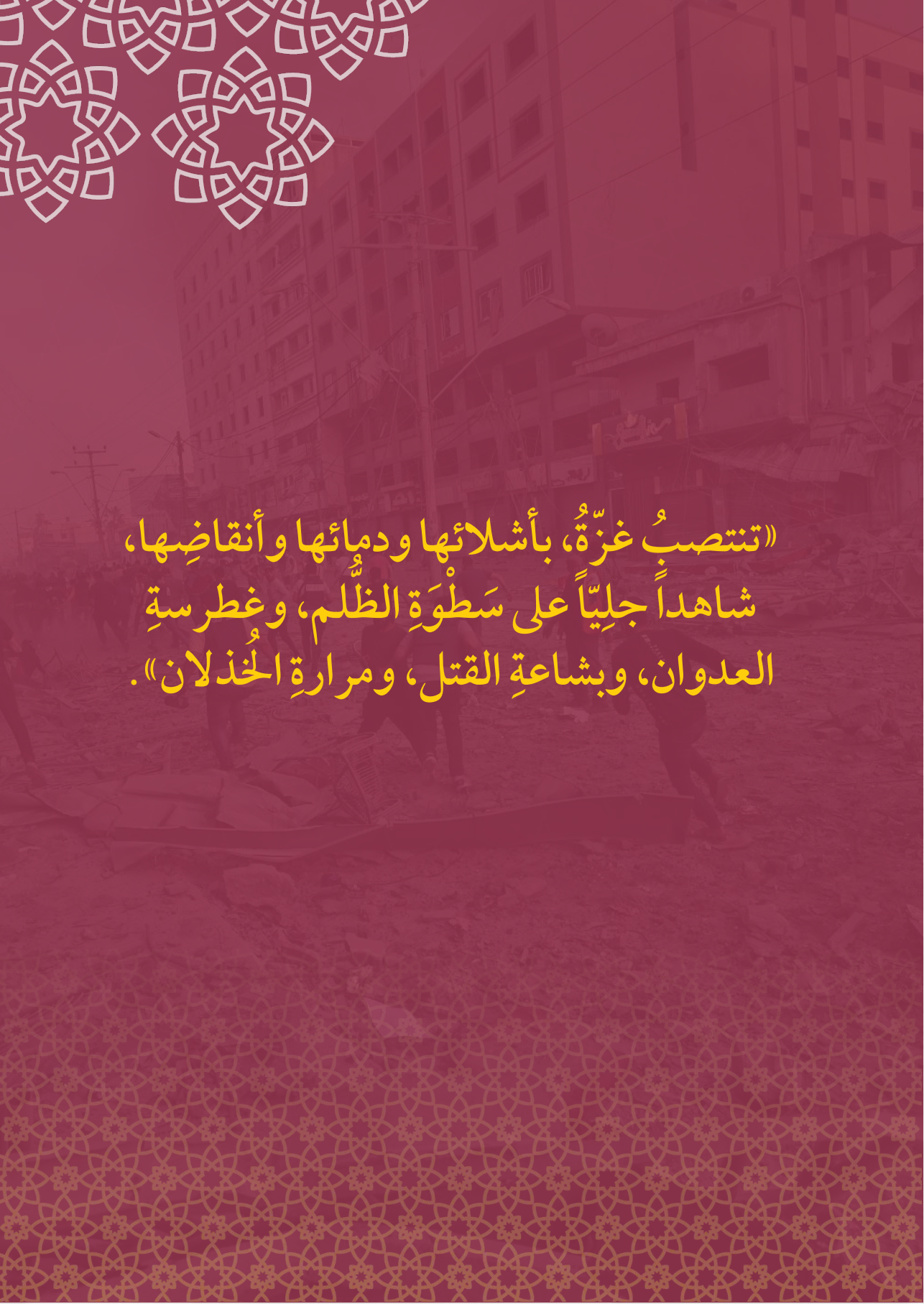

«تنتصبُ غزّةُ، بأشلائِها ودمائِها وأنقاضِها، شاهداً جلِيّاً على سَطْوَةِ الظُّلم، وغطرسةِ العدوان، وبشاعةِ القتل، ومرارةِ الخُذلان».

الموضوع الخامس

شهود على وحشية العدوان

فقد شاءَ اللهُ تعالى أن نكون شهوداً على آلةِ العدوان .. وهي تفتكِ بعشراتِ ألوفِ الأبرياء .. مِن الرُّضّع والأطفال .. من النساء والفتيات .. من المرضى والمسنِّين .. تفتكُ بأخواتِنا وأخوتنا .. ببناتِنا وأبنائنا .. بأمّهاتنا وآبائِنا .. الذين هم أفئدتُنا التي تخفق .. ومشاعرُنا التي تَنْبِض .. رأيناهُم يُسحَقون بنيرانِ القتلِ ويُحرَقونَ بقذائفِ الحقْدِ .. ساعةً بعد ساعة .. لحظةً بعد لحظة ..

يا لوحشيةِ العدوان .. الذي سَفَك دماءَ الأبرياء .. أهلَكَ الحَرْثَ والنّسْل .. سَحَقَ البشرَ والحجَر .. أمطَرَ الأطفالَ في مضاجِعِهم بِحِمَمِ النّار .. أحالَ العجائزَ في مراقدِهم إلى أشلاءٍ ودماء .. ثمّ

وجدنا الحفاوةَ الآثمةَ بجيشِ الاحتلالِ والقتلِ والعدوانِ على مرأى من العالم ..

هي الفظاعةُ عينُها .. التي حَرَمَت أكثر من مليونيْ إنسان .. معظمهم أطفالٌ ونساء .. حرمتهم شربةَ ماء .. وكِسْرَةَ خُبْز .. ولُقمةَ غِذاء .. وجُرعةَ دواء .. هي الفظاعة عينها .. إذ قطعت عن هؤلاء الأبرياءِ شرايينَ الحياة .. كي يموت شعبٌ بحيالِهِ عطشاً وجوعاً .. ومرضاً ورُعباً .. وترويعاً وقهراً ..

تلاحقَت هذه الوقائعُ التي يندى لها جبينُ الإنسانية .. لكنّها لم تجد سبيلَها إلى مَن عَمِيَت قلوبُهم وغابت ضمائرُهم.. فإنّها لا تعمَى الأبصار .. ولَكِنْ تَعْمَى القلوبُ التي في الصُّدور ..
غابت الضمائرُ وحضر التحريض .. تحريضٌ سافرٌ على شعبِ فلسطين .. على الشعبِ المظلوم .. الذي سُلِبت حقوقُه .. وانتُزِعت أرضُه .. واغتُصِبت ديارُه .. وشُرِّدت أجيالُه .. ودُنِّسَت مقدّساتُنا ومقدّساتُه .. إنّه الانحياز الأعمى .. الذي يَضَعُ الضحيّةَ في موْقع المُعتدي .. والمُعتديَ في موقِع الضحية .

ومن فظائع الإجرام .. تلكمُ الجريمةُ النكراء .. التي أحرقت

أفئدتنا المكلومة .. تِلْكُم المذابح الرهيبة .. التي أجهزت بكلِّ بشاعة على أجسادٍ غضّة احتمت بالمستشفيات .. فتكت بالأطفال والنساء .. والمرضى والمُقعَدين .. حتى صاروا أشلاءً مُتناثرة .. ثمّ وجدتُ الجرائم الوحشيةُ مَن حاول طَمْسَها وباشَر تزييفَها .. وسعى إلى تَجاهُلِها ومضي إلى تبريرِها .. لتكتملَ حلقاتُ الظُّلْمِ والقهْرِ والبطْش .. التي تُحكِم خِناقَها على شعبِ فلسطين ..

هكذا تنتصبُ غزّةُ اليومَ .. بأشلائها ودمائها وأنقاضِها .. شاهداً جلِيّاً على سَطْوَةِ الظُّلم .. وغطرسةِ العدوان .. وبشاعةِ القتل .. ومرارةِ الخُذلان .. وإنّ هذا يؤكِّد من جديد .. أنّ فلسطين .. المظلومةَ الجريحةَ منذ قرن من الزمن.. تَمتحنُ عالَمَنا في مبادئِه وقِيَمِه .. وفي التزامِه بمواثيقِه وشعاراته ..

أيُّ معنى للحقوق .. وهي تُداسُ في فلسطينَ المحتلة .. باسم التحضُّر!

أيُّ معنى للحُرِّيّة .. وهي تُخنَق في غزّةَ والضِّفّةَ والقدس .. باسم المدنية!

أيُّ معنى للعدالة .. وجرائمُ الحرب البشعة تتعاظمُ دون مُساءلة

أو مُحاسبة!

أيُّ معنى للمساواة .. وقيمة الحياة في عالمنا لا تتكافأ .. فتضع بعض البشر فوق بعض، وتُسبَغ أوصاف الديمقراطية على الفصْلِ العُنصري!

أيُّ معنى للنزاهة .. وقد صارَ التزييفُ سياسةً .. والكَذِبُ إعلاماً! زعموا قطْعَ الرؤوس كي يقطعوا الرؤوس .. أيّ تضليلٌ هذا الذي يجري على حساب أرواح الأبرياء!
أيّ معنى للتحضُّر .. وباسمه تستباحُ الدِّماءُ وتُزهَقُ الأرواح!

كشفت هذه المقتلةُ الرهيبةُ لعالمنا .. عبَث العابثينَ بالقيَم .. وفضحَت الاستهانةَ بالمبادئ .. كشفت أزمةَ أخلاقٍ مُستَفْحِلة .. أباحَت للمحتلِّ المعتدي .. أن يَقْصِفَ المُستشفيات والعِيادات .. وأنْ يَحرِقَ المنازلَ والمدارس .. وأن يَستهدِفَ الأسواقَ والمخابز .. وأن يَدُكَّ المساجدَ والكنائس .. ومنها كنائسُ وأديرةٌ قديمةٌ في غزّةَ صارت أنقاضاً على مَن احتموا بها من هذا الشعب المكلوم .. ثمّ يُحَمّل أهلُ غزّة مسؤوليةَ عن العدوان الذي يستهدفهم!.
أما آنَ للضمائرِ أن تستيْقظ .. بعد الإبادة المشهودة ضدّ المدنيينَ

في غـزّة .. الذيـنَ سُـحِقوا سـحقاً .. أو حُرِقـوا حرقـاً .. فعلَـت آلـةُ العـدوان والإبـادة فعلَهـا بالبـشر .. لكنّهـا عجـزت عـن كـسْرِ إرادتهـم في الحريـة والكرامـة ..

عـلى كلِّ مُسـلمٍ ومُسـلمة .. عـلى كلّ إنسـانٍ حرّ .. عـلى كلِّ صاحب ضمـير .. أن يَرفَـع صوْتـه أينـما كان لأجـل الحـقِّ والعـدل وكرامـة الإنسـان .. التـي تُسـحَق وتُزهَـق وتُستباح .. علينـا وعـلى غيرنـا .. رفـع الصـوْت ضـدّ هـذه الفظائـع .. ضـدّ هذا المـروق من الإنسـانية .. ضـدّ غطرسـة القـوّةِ واسـتعلاء العـدوان .. فـوق الحـقّ والعـدل والحريـة ..

لا تنسـوا شـعبَ فلسـطين أيّهـا الأخـوة .. لا تنسـوا أطفـالَ غـزّةَ ونسـاءها .. وكبارَهـا ومرضاهـا .. لا تنسـوا أحرارَهـا تحـت القصـف .. لا تنسـوا أخوَتِكُـم وأخواتِكُـم .. كونـوا معهـم بقوْلكم وموقفكـم .. بقلوبِكـم وعقولِكـم .. بدُعائكـم وعطائكـم .. كونـوا معهـم في هـذا المنعطـف الـذي سـيذكره التاريـخ .. كونـوا معهـم .. واجمعـوا حاملـي الأفئـدةِ والضمائـرِ مـن النـاس كافّـة عـلى كلمـة سـواءٍ مـن الحـقّ والعـدل ..

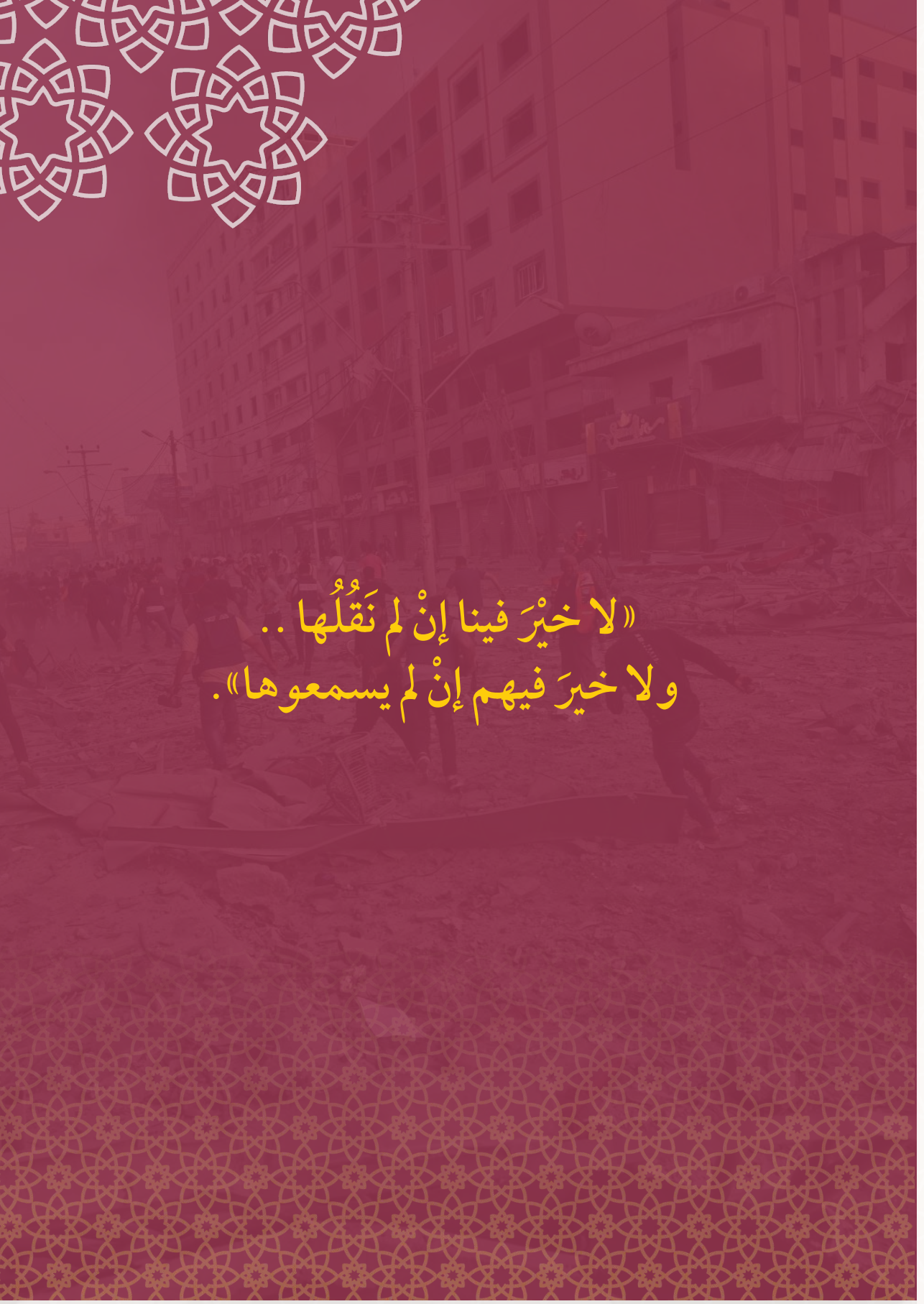

«لا خيْرَ فينا إنْ لم نَقُلُها ..
ولا خيرَ فيهم إنْ لم يسمعوها».

الموضوع السادس

أهوال الإبادة وأسئلتها الإنسانية

فقد عاش العالم أهوالاً منقولةً من غزة .. عاشَها موسِماً مديداً من القتْلِ الجماعيِّ المتواصِلِ على مدارِ الساعة .. عاشها مَذبحةً تِلْوَ مَذبحة .. مَقْتَلَةً تِلْوَ مَقْتَلَة .. فظاعةً بَعْدَ فظاعة .. تعاظَمت الحصيلة .. وتصاعَدت الأعداد .. حتى بلغت عشرات الألوف من البشر .. أُزهِقَت أرواحُهُم في زمنٍ قياسيٍّ بغير وجه حقّ .. معظمهم مِن الأطفال والنساء .. وأمثالهم طُمِروا تحتَ أنقاضٍ مُتراكِمَة .. ولا سبيلَ لانتشالهم ..

تسارَعت المذابحُ الرهيبة التي لَن تُمحَى من ذاكرةِ البشَر .. وبيْن إقامة صلاة وجلسةِ تَشَهُّد سُحَقَت أُسْرة .. أو دُمِّر بيتٌ .. أو أُسقِطَت حُمولةٌ من المتفجِّراتِ فوْق جموعِ الذاهلين .. أو أُبيد حيٌّ سكنيٌّ بِمَن فيه ..

إنّ الأبدانَ لَتَنْتَفِضُ مِنْ هَوْل ما سُمِع ..
إنّ الوجدانَ ليَتَزَلزَلُ مِن وَقْعِ ما شُوهِد ..
إنّ الفُؤادَ ليتفطَّر مِن فَظَاعةِ ما اقْتُرِف ..
إنّ اللِّسانَ ليَعْجَزُ عَن وصفِ ما ارتُكِب ..
هي الإنسانيةُ التي ذُبِحَت في غزّة ..
هي المبادئُ التي نُحِرَت في غزّة ..
هي القيَمُ التي سُحِقَت في غزّة ..
هي المواثيقُ التي أُسقِطَت في غزّة ..

وقد تعيّنَ على كلِّ صاحِب ضمير .. على كُلِّ صاحِبِ قَلْب .. على كلِّ صاحِب مَبْدَأ .. أيّاً كان دينُهُ ولوْنُهُ وموْطِنُه .. أن يُسَمِّي الأشياءَ بأسمائها .. أن يَصِفَ الواقِعَ كما هُو .. فما جرى في قطاعِ غزّة .. هو حملةٌ وحشية لا أقلَّ من ذلكم .. هي حملةُ إبادةٍ جماعية لا أدنى من ذلكم .. هي جريمةٌ ضدّ الإنسانية ولا ريْب في ذلكم .. مذبحةٌ رهيبةٌ ضدّ شَعْبٍ بِحيالِه .. ضدّ حشودِ الأطفالِ والنِّساءِ والشيوخ والمرضى وذوي الإعاقة .. ضدّ الأطباء والممرِّضين والمُسعفين .. ضدّ عاملي الوكالات الإنسانية الدولية .. ضدّ الصحافيين وحاملي الكاميرا وناشطي

الشبكات .. ضدّ العلماءِ والأئمّةِ والخطباء ورجالِ الكنيسة والراهبات .. ضدّ حافظي القرآنِ الكريم والحافظات .. ضدّ الذاكرينَ الله كثيراً والذاكرات ..

إنها جريمةٌ ضدّ الإنسانية .. تُوجِع الضمائر .. إذ ألقَت بِحِمَمِ النّار فوق رؤوسِ أطفالٍ نِيام .. ودفنَت الرُّضَّعَ تحت الرُّكام .. أسقطت السقوفَ فوق الأمّهات والجدّات مع أطفالهنّ وأحفادِهنّ ..

هي جريمةٌ ضدّ الإنسانية .. استهدفت الأعيانَ المدنيّةَ التي تَخْدِم الأهالي .. ضربت المستشفياتِ والعياداتِ والصيدليات .. ودمّرت مرافقَ الحياةِ وموارِدَ المعيشة .. ولم تسلم منها المَخابِزُ والمتاجرُ والأسواق ومَن يتزاحمون حوْلها ..

هي جريمةٌ ضدّ الإنسانية .. لم تَرْحَمْ بَشَراً ولا شَجَراً ولا حَجَراً .. ولم يسلَم منها حيوانٌ ولا زَرْعٌ ولا مَوْرِدُ ماء ..

ثمّ بلغَتَ الوحشيةُ مبلغها .. في دعاوَى الإبادة الشاملة التي لم تظمأ بعد من دماء الأبرياء .. دعاوى شائنة تصاعدت ضدّ شعبِ فلسطين .. حتى سمعنا التهديدَ العلنيّ مِن وزيرٍ

متطرِّفٍ في حكومةِ احتلالٍ وعُدوان .. سمعناه يتوعّدُ مليونيْن وثُلُثَ مليونِ إنسانٍ في قطاع غزة .. بإلقاءِ قُنْبُلَةٍ نوويّةٍ على رؤوسهم ..!

هي جريمةٌ ضدّ إنسانيّتِنا جميعاً .. جريمةٌ ضدّ مبادئِنا نحن البشر .. جريمةٌ ضدّ قيَمِنا ..

أمّا مَن يحترفون صَرْفَ الأنظار عنها .. أو التماسَ الأعذارِ لها .. أو التهوينَ من فظاعَتِها .. فإنّما يُشجِّعونها لتُواصِلَ القتلَ والتدمير .. والفتْكَ والتهجير .. ونَقولُ لهؤلاءِ الآثمين وهؤلاءِ الجائرين .. وبعضُهم زعماءُ دُوَل وصانعو قرار وقادةُ رَأْيٍ ومتحدِّثو شاشات، نقول لهم: .. كم عدد الضحايا الذي يَرْوِي ظمأَكُم ويَشْفي غليلَكم؟ .. كم ألفِ طفلٍ آخرَ من الضحايا تريدون أيضاً .. كي تتحرّك ألسنتُكم أخيراً بقوْلِ كفى لكلِّ هذا القتل؟ كم من المجازر والمآسي تَطلُبون .. كي تمنحوا ضمائرَكم الحبيسةَ فُرصَتها البوْحِ بأن تقول كفى؟

ما الذي يَبْقى من إنسانيّتنا .. إنْ أغمَضْنا عيونَنا عن قتْلِ المرضى والنازحينَ في المستشفيات؟ .. وترويعِ الأطفالِ والنِّساءِ والجرحى المكتظِّين فيها؟

ما الذي يَبْقى من شعاراتِ عالمِنا .. إنْ أُبيحَ للمُعتدي الغاشِمِ .. المدجَّجِ بآلةِ الحربِ الفتّاكة .. إنْ أُبيحَ له تدميرُ المساجِد .. وقصفُ الكنائس .. واقترافُ المذابحِ الشنيعةِ بحقِّ المُحتَمين بها؟

ما الذي يَبْقى من مواثيقِ الأمم وشرائعِ العالَم .. إنْ واصل قادَةٌ وساسةٌ وصانعو قرار .. تشجيعَ الإبادة .. ودعْمَ العدوان .. وتبريرَ الفظائع .. وتسويغَ التدمير؟

ما الذي يبْقى من حِسٍّ وضمير .. إن لم تجرُؤ دولُنا الأوروبيةُ والغربية .. على أن تضعَ حدّاً فورياً .. لقَطْعِ الماءِ والغذاء والدواء والكهرباء والوقود ورمق الحياة .. عن هذا الشعب؟ وأن تضعَ حدّاً فورياً لإمداد العدوانِ بأسلحةٍ تَقْتُلُ وذخائرَ تَفْتِك؟

لا خيْرَ فينا إن لم نَقُلْها .. ولا خيرَ فيهم إن لم يسمعوها ..

تأبى عيونُنا أن تُغْمَضَ .. وشعبُ فلسطينَ يُذبَح .. وأطفالُه الأبرياءُ يُقتّلون تقتيلا .. وأمّهاتُه الكريماتُ يُمَزّقْن تمزيقا .. وشيوخُه المُصابِرونَ تُفجّرُ أبدانهم أو تُحرَقُ أشلاؤهم .. وآلافٌ مؤلّفةٌ من البشَر في غزّة لا صريخَ لهم .. تُخنَقُ أنفاسُهم تحت أنقاضٍ متراكمة .. ولا يجدون من عالمنا غوْثاً ولا عَوْنا ..

كيف نُسْكِتُ ضمائرَنا يا قَوْم .. وقد حُرِم شعبٌ بحيالِهِ شربَة ماء ..

ولُقْمةَ غِذاء .. وقارورةَ دَواء؟

كيفَ نُخرِس ألسَنَتَنا يا قوْم .. ونحن شهودُ المذبحة .. نعيشُها يوماً بيوم .. وساعةً بساعة؟ .. نعيشُها لحظةً بلحظة .. نعيشُ آلامَها وأوجاعَها .. نعيشُها في وجدانِنا وإنْ حُجِبَت مشاهِدُها المروِّعةُ عن شاشاتِ الانحيازِ البغيضِ .. التي تستعيدُ منطِقَ فِرْعَونَ في فَرْضِ روايتِهِ الباطلةِ وحكايَتِهِ الزائفة بقوْلِه .. ما أريكُم إلاّ ما أرى .. وما أَهديكُم إلاّ سبيلَ الرشاد ..؟

يُذبَح الشعبُ العزيزُ في غزّة .. لكنّه لا يَركَعُ إلاّ لله الواحدِ القهّار ..

ومن شَعْبِ غزّة .. يتعلّم عالَمُنا كرامةَ الإنسان وعِزّةَ نَفْسِه وأصالةِ مَعْدِنِهِ وصلابَةَ إرادتِه ..

يَذرِف الأهالي دموعَ الإنسانيةِ على أحبّائهم .. لكنّهم يَسْتَلْهِمون العَوْن من الله ذي القوّةِ المتين .. يَرفَعُ الإنسانُ في غزّةَ صَوْتَه بالتكبيرِ إنْ داهمَتْهُ الفاجِعة .. لإيمانِهِ الرّاسخِ بأنّ اللهَ أكبرُ من غاراتِ القتل .. وأنّ اللهَ أكبرُ من قذائفِ الموت .. وأنّ اللهَ أكبرُ من صَواريخِ العُدوان .. وأنّ اللهَ أكبرُ من سياسةِ

التجويـع .. وأنّ اللهَ أكـبرُ مـن حَـرْبِ التعطيـش .. وأنّ اللهَ أكـبرُ مـن سَـطْوةِ القهْـر .. وأنّ اللهَ أكـبرُ ممّـا يُصـبُّ عـلى هـذا الشـعب مـن الويْـلات ..

هـا هُـوَ شَـعْبُ فِلَسْـطينَ يُعَلِّمُنـا .. ويُعَلِّـم عالمنـا أجمَـعَ درسـاً بليغـاً .. في احتمالِ الضغـوطِ واستيعابِ الصدمـات .. في الجلَـدَ والتماسُـك .. في احتسـابِ الفقْـدِ والوجَـعِ عنـد الله تعـالى .. في الارتقـاءِ فـوْقَ مشـاعرِنا الأرضيـة العابـرة .. واحتسـابها عنـد الله الـذي بـشّر الصابريـن .. وفي ذلكـم عـبْرةٌ لنـا جميعـاً .. عـبرةٌ لِمَـنْ استَولى عليـه جَـزَعٌ مِـنْ هَـمٍّ أو غَـمّ .. أو تَمَلَّكُـهُ فَـزَعٌ مِـن فَقْـدٍ أو خُـسْران .. أوْ أَرَّقَـهُ خَـوْفٌ عـلى موْقـعِ عَمَلِـهِ أو مَـوْرِدِ رزقـه .. فلَنـا جميعـاً في أمّهـاتِ غـزّةَ المفجوعـاتِ الصابـرات .. خيْرُ أسـوة .. ولنـا جميعـاً في آبـاء غـزّةَ المكلومـين المُحتسـبين .. خـيرُ قُـدوة .. وإنّـا لنَحْسَـبُهُم في هـذا مِثـالاً مَرئيّـاً يحيـي ذكـرى الصالحـين العاطِـر .. عـلى نهـجِ الصحابـةِ والتابعـين .. وتابعيهـم بإحسـانٍ إلى يـومِ الدِّيـن.

لا عجـب أن تنتصـبَ غـزّةُ اليومَ مثالاً سـاطعاً لشُـعوبِ الأرض ..

في عِـزّةِ أهْلِهـا وأصالـةِ مَعْدِنِهـا .. في ثباتِهـا المُذهِـلِ رغـمَ القصْـفِ والترهيـبِ والترويـع .. والله غالـبٌ عـلى أمـرِهِ ولكـنّ أكثـرَ النّـاسِ لا يعلمـون.

قال تعالى..

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾

سورة المائدة. ٣٢

الموضوع السابع

جريمةٌ ضدّ الإنسانية
(فكأنّما قتل الناس جميعاً)

فقد شَهِدَ عالَمُنا خلال حرب الإبادةِ التي أُوْقِعَت على شعبِ فلسطينَ في غزة .. ما يَفْزَعُ منْه الوجدان .. وعايَشَ ما تنتفضُ له الأبدان .. من التقتيلِ والتدميرِ والتجويعِ والترويع .. فهذا العدوان على الأنفُس لم يَرحَمْ طفلاً أو امرأةً أو شيخاً أو مريضا ..

ومِن تعظيم حُرْمَةِ الدِّماء .. قولُه تعالى في مُحكَم التنزيل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ

كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾ سورة المائدة. وفي هذا تنبيهٌ للنّاس جميعاً عبر العصور، وقد جاءت الآيةُ الكريمةُ بعد نَبَأِ ابْنَيْ آدم .. أيْ عطفاً على جريمةِ القتْلِ الأولى، التي ينبغي أنْ تكونَ عِظَةً للناسِ كافّة عبر التاريخ ..

ومِمّا ينبغي بيانُه في هذا المقام .. أنّ سَفْكَ دِماءِ الآمنين وقَتْلَ النّاسِ بغيرِ حقّ .. ليسَ جريمةً ضِدّ غزةَ وحدها أو فلسطينَ وحسب .. فهي بالمعنى الأعمّ جريمةٌ ضدّ الإنسانية .. إذ تَنْتَهِكُ حُرمةَ النفْس البشرية .. فمَن يستمرئُ إزهاقَ الأرواح .. وسَحْقَ الأبدان .. وترويعَ الأبرياء .. وإسقاطَ الشرائع .. والإطاحةَ بمبادئ عالمنا ومواثيقِه وقوانينِه المدوّنة؛ .. مَن يستمرئ هذا كُلَّه .. إنّما يَقْترفُ جريمةً شنعاءَ ضدّ الإنسانية .. .. ﴿.. أنّه مَن قتل نفساً زَكِيّةً بغيْر نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً﴾ .. وهكذا يتعيّنُ على البشريةِ جمعاء أن تستنكرَ فَعْلَتَه وأن تتحرّكَ ضِدّه .. بصوتِ الحقِّ ونداءِ الضميرِ وأمانةِ الموقف ..

ومِن إحياءِ الأنفُس صَوْنُ حُرمَتِها ودَفْعُ القتْلِ عنها .. وهذه

عِظـةٌ بالغـة تشـتدّ حاجـةُ عالمنـا إليهـا .. فمَـنْ تنـادَوْا لوَقْـفِ هـذه المجـازِرِ الوحشـيةِ التـي تَفْتِـكُ بالرُّضّـعِ والأطفـالِ والنِّسـاءِ والشـيوخِ والمـرضى وعمـومِ المدنيـين .. عـلى مـرأىً مـن العـالمِ ومسـمَع .. امتَثَلـوا لهـذهِ الوصيّـةِ المُغلّظـةِ .. بالسّـعي الحثيـثِ في إحيـاءِ الأنفُـس .. ودَرْءِ المقتلـة .. وإقامَـةِ الشرائـع التـي تَعْصِـمُ الدِّمـاءَ وتَصـونُ الأرواح ..

إنّ مَـنْ رفعـوا أصواتهـم في منابـر الأرض .. وميادينِ العـالم .. ضِدّ نهْـجِ الإبـادةِ وجرائـمِ الحـرب .. هُـم أوفيـاءُ حقّـاً لهـذه التعاليـمِ الخالـدة .. فهـو موقـفُ امتثـالٍ لتوجيـهٍ ربّـانيٍّ واضِـح .. وهـو موقِفُ التزامٍ بمبدأٍ إنسـانيٍّ وأخلاقـيٍّ سـابغ .. لا يَصِـحُّ إسـقاطُه أو تعطيلُـه .. وقـد شـاهدنا جميعـاً نـداءاتِ إحيـاءِ الأنفُس المهـدّدة بالقتْـل .. يُطلقهـا حاملـو الضمائـرِ الحيّةِ في كُلِّ مكان .. ويبعَثُ بها أطبّـاءٌ وممرِّضـون ومُسـعِفون مـن أنحـاءِ العـالم .. لوقْـف العـدوانِ السـافر عـلى مستشـفياتِ غـزة .. وإنقـاذِ المرضى والجرحـى الذيـن يُطاردهـم القَصـف وتُحاصِرهـم الدبّابـات .. وإغاثـةِ الأطفـالِ الخُـدّج .. أولئكـم الصِّغـار الذيـن قُطِـعَ عنهـم شريـانُ الحيـاة .. وخُنِقَـت أنفاسُـهم عـلى مـرأى مـن العـالمِ ومسـمع ..

إنّ التنـادي لكبْـحَ المقتلـة .. والتدخُّـلَ لإحيـاءِ الأنفُـس .. هـو مسـؤوليّتنا جميعـاً .. كلٌّ مِـن مَوْقِعِـه .. وكلٌّ مَـع مَـنْ يَليـه مـن أصحـاب الضمائـر .. في الجامعـات والمعاهِـد .. في العمَـلِ والوظيفـة .. في الجمعيـةِ والنِّقابـة .. في المنابِـرِ ومواقـعِ التواصُـل .. في الشاشـاتِ والشـبكات .. فكيْـف للعيـونِ أن تَغْفُـوَ .. وأبـدانُ الصغـارِ ترتَعِـشُ مِـن هَـوْلِ مـا يجـري هنـاك؟ وكيـف للأنفس أن تهـدأ .. وأمّهـاتُ غـزّةَ تطارِدُهُـنّ الأهـوالُ والفواجِـع؟ وكيـف للضمائِرِ أن ترتـاح .. وهـي تُبـصِرُ خنـادِقَ عظيمةً تُشَـقّ في الأرض .. كـي تحتـوي جثامـين المئـات الذيـن سُـفِكت دماؤهم بغيْر حَقّ؟ إنّهـا مسـؤوليتنا جميعـاً .. نحـن البـشَر .. في أن نجتمـع عـلى كَلِمَـةٍ سـواء .. لأجـل الحـقّ والعـدل .. ولوقْـف الجريمـة الشـنيعة ضـدّ الإنسـانية .. التـي يشـاهِدُها عالَمُنـا عـبر البـثِّ المبـاشر .. لحظـةً بعـد لحظـة ..

ولا ينبغـي للقُنـوطِ أن يتسـلّل إلى رَوْعِ أحدِنـا .. لأنّ الصـوْتَ الـذي يرفَعُـهُ لم يُوقِـفْ المـآسي ولم يَكْبَـحْ الفظائـع .. ذلكُـم أنّ جُهْـدَه هـذا يَظَـلُّ كلمـةَ حَـقٍّ وعَـدْلٍ وإنْ لم يُمتَثَـلْ لهـا .. يظـلُّ نـداءَ قَلْـبٍ وضمـيرٍ وإنْ لم يُسْـتجَبْ لَـه ..

وإنّه لمَوْقِفٌ مبدئيٌّ يحتاجُه عالَمُنا كي يهتدي إلى سبيلِ الرشاد ..

لقد كَشَفَت غزّةُ لِكُلِّ ذي عينيْن .. أنّ عالَمَنا تنتابُه عِلّةٌ أخلاقية مُتفاقِمة .. ومُعضِلَةٌ قيميةٌ مُستعصية .. وقد تجلّى للعيانِ أنّ استدعاءَ القيَم والمبادئ والمواثيق .. يُخالطه هَوَى ظاهِر .. وأنّ بَعض القيَم والمبادئ تُستعمَل سِتاراً مُضلِّلاً لتبرير الإجهاز البَشِع على الأبرياء..

فأيُّ عالَمٍ هذا الذي يُقرِّر تشغيلَ قِيَمِه ومبادِئِه ومواثيقِه .. حسب أهوائه ومصالحه؟

وأيُّ عالمٍ هذا الذي لا تتكافأ فيه أرواح البشَر .. ولا تتساوى فيه حقوقُهُم وحريّاتهم وكرامتُهم؟

وأيُّ عالمٍ هذا الذي يَرفَعُ شعاراتٍ نبيلةً لا يمتَثِلُ لها في واقِعِ التطبيق؟

أيُّ عالم هذا الذي يَسْمَحُ بكلّ هذا الرُّعبِ القاتِل .. ضدّ شعبٍ من اللاجئين .. المحرومين من حقّهم وحريّتهم؟

وقد قدّمت غزّةُ لنا ولشعوب العالم .. دروساً في عِزّة الإنسانِ

وكرامته .. وعظاتٍ في صلابةِ الإرادةِ ومتانةِ الاحتمال .. فجادَت غزّةُ علينا وعلى عالمِنا بنماذِجَ مُلهِمةً في الصبْر والاحتساب .. والتكافُلِ والتراحُم .. وفي ارتقاءِ الإنسانِ فوْق أوجاعه .. وتساميه فوْق آلامه .. إنْ تهيّأ لَهُ إدراكُ مغزى الوجود .. وتطلّع ناظراهُ إلى المعالي ..

قال تعالى..

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

سورة الأنعام ٣٢

الموضوع الثامن

متانة الإيمانِ وعُمْق اليقين

فقد أكرمنا اللهُ تعالى برؤية نماذج مُلهِمةٍ في متانةِ الإيمانِ وعُمْقِ اليقين .. نماذج مُلهمةٍ في الصبر والاحتساب .. نماذج مُلهمةٍ في استصغارِ الدُّنيا وتعظيمِ الآخرة ..

فقد تهيّأ للنّاس في مشارق الأرض ومغاربها .. أن ترى بَشَراً لا تُكسَرُ إرادتُهم .. ولا تُوْهَنُ عزيمتُهم .. ثابتينَ مِثْلَ الجبالِ رغم هَدْمِ بيوتهم .. صابرين محتسبينَ رغم الأهوالِ والفظائع .. فإنْ أصابتهم مصيبةٌ قالوا: الحمدً الله .. وإذا مسّهم القَرْحُ كبّروا الله تكبيرا ..

إنّها غزّةُ .. تُحيي فينا سِيَرَ الأوّلين .. مِن الصحابةِ والتابعين .. هي غزّةُ .. كتابٌ مسطورٌ بتضحياتِ الكبار والصغار .. بثباتهم واحتسابهم ..

كفى بغـزّةَ واعظاً لمن أراد الوعـظَ هـذه الأيّـام .. فهـو وَعـظٌ حـيٌّ يَـدُبّ فـوْقَ الأرض ويتحـرّكُ في دُنيـا النّـاس ..

وقـد حـار بعـضُ النـاسِ في عالمنـا .. في فَهْـمِ هـذه القُـوّةِ الإنسـانيةِ الخارقـة .. التـي تُـرى عيانـاً مِـن واقـعِ أجيـالٍ تَستهينُ بآلامهـا .. وتتسـامى فـوْق أشـلائها .. وترتقـي فـوق أنقاضِهـا .. حـارَ بعـضُ النـاس في تأويـل هـذه الإرادةِ الصلبـة .. التـي لا تكسرهـا الأهوالُ التـي تُصَـبّ فـوق الـرؤوس ..

حتّـى تبـيّن لبعـض الحائريـنَ أنّ سِرَّ الإنسـانِ في غـزّة مُنعَقِـدٌ في إيمانِـهِ بـالله تعـالى .. وفي اتّكالِـه عـلى الله عـزّ وجـلّ .. وفي احتسـابِهِ كلّ مـا يفقـد أو يخسر عنـد فاطِرِ السـماواتِ والأرض .. فكُلّ هذه الخسـائرُ الظاهـرةُ والتضحيـاتُ الغاليـة .. هـي رصيـدٌ مُدّخَـرٌ عنـد مَـنْ لا تَضيـع عنْـدَهُ الودائـع .. هـي رصيـدٌ يتعاظَـم عنْـد مـن لا يُضِيـع أجْـرَ مَـن أحسـنَ عمـلا ..

قدّمَـت غـزّةُ نموذجـاً مُلهِمـاً لمـن يفتـحُ عيْنيـهِ وقلبَـه وعقْلَـه .. فـإنّ النـاسَ فيهـا إن استُهدِفوا بالتدمـير عـادوا في كُلِّ مـرّةٍ إلى التعمـير .. فهـذه الأبنيـةُ والعمائـرُ التـي قوّضَهـا الغـزاةُ تقويضـا .. أُعيـدَ بناءؤهـا مـرّاتٍ ومـرّاتٍ مِـن قبـل .. ولـن يَكُـفّ الأهـالي مِـن بعـدُ

إن شاء الله عن رَفْعِ بُنيانِها من القواعِدِ .. كما كانوا يفعلون .. وإنْ هَوَت السُّقوفُ فوْقَ الرؤوس .. وأُطيحَ بالجدران .. وطارت النوافذ .. وَجَدْتَ الحياةَ تَدُبُّ في ما بقي مِن قاطنيها .. ليواصلوا العيْشَ والاجتماعَ فوْقَ أنقاضِها .. وقد أدركوا أنّ جرائمَ الحربِ الفظيعةَ قد تَسْحَقُ البُنيانَ والأبدانَ لكنّها تَعْجَزُ عن تقويضِ إرادةِ الإنسان؛ .. إن هو استلهَم العوْنَ من اللهِ الكبيرِ المتعال .. مِنَ الله تعالى ذي الجلال ..

تُعَلِّمُنا غزّةُ هنا دروساً وتمنحنا مواعِظَ .. هي دروسٌ لا تُقدّرُ بثمن .. دروسٌ تُحرِّرُنا من قبضةِ العجز .. ومواعِظُ تُخلِّصُنا من وطأةِ الانكسار .. فمن يجزع مِن هَمٍّ أصابه .. أو يَفْزَع من غَمٍّ ألمّ به .. فليلتمسْ الموعظةَ مِن رجالِ غزّة .. مِن أمّهاتِ غزّة .. من جدّاتِ غزّة .. من شيوخِ غزّة .. مِن أطفالِ غزّة .. الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» .. الذين إنْ أحاطَت بهم الفظائعُ صاحوا: «اللهُ أكبرُ ولله الحمد» ..فتَقَزَّمَ حطامُ الدُّنيا في عيونِهم وتطلّعَت أفئدتُهم إلى الجائزةِ الكبرى من العَلِيِّ القدير .. وإنّما يُوَفّى الصابرونَ أجرَهُم بغيرِ حساب ..

هـل أدرك الحائـرون سِرَّ غـزّةَ الآن؟ إنّهـا القلـوب المتّصلـةُ بـالله تعـالى .. والعقـولُ التـي وَضَعـت الدُّنيـا ومـا فيهـا في حجمِهـا المنطقـيّ .. فالإنسـانُ لـن يبقـى في هـذه الـدّارِ خالـداً مُخَلّـدا .. وإنّ كلَّ مـا يُقاسيه فيهـا قـد يصيـرُ زيـادةً لـه في الأجـر .. وقـد يُحتَسَـبُ قُربانـاً لله تعـالى .. وإنّ الإنسـانَ إنْ احتسـبَ كُلَّ هـذه التضحيـاتِ العظيمـةِ في سـبيلِ الله تعـالى .. فإنّهـا سـتهون وتتضـاءل .. وتَكْـبُرُ معهـا إرادَتُـه .. وتتقـدّم عبْرهـا قضيّتـه ..
تقـولُ لنـا غـزّة .. ﴿يَـا قَـوْمِ إِنَّـمَا هَـذِهِ الْحَيَـاةُ الدُّنْيَـا مَتَـاعٌ وَإِنَّ الْآخِـرَةَ هِـيَ دَارُ الْقَـرَارِ﴾ سـورة غافـر - ٣٩

أدركَ أولـو الألبـابِ أنّ المشـاهِدَ الملحميّـةَ التـي سطّرَها أهـالي غزّةَ عـلى مـرأى مـن العـالم .. بكبريـاءِ إرادتِهـم .. واسـتعلاءِ كرامتِهـم .. وبعِـزّةِ أنفسُـهِم .. وعِفّـةِ ألسُـنِهِم .. بثباتِهـم وصمودِهـم وشـجاعتِهم .. وباصطبارِهـم واحتمالِهـم واحتسـابِهم .. هـذه المشـاهدُ لا تتشـكّل إلاّ برؤيـةٍ ثاقبـةٍ للحيـاة .. ونظـرةٍ ذات مغـزًى للوجـود .. وهكـذا تَعْـرِضُ غـزةُ مثـالاً في القيَـم النبيلـة والمبـادئ السـامية .. التـي يجـدُر اسـتلهامُها .. ولـو أنّ الناسَ في غـزّة أُشـرِبوا في قلوبهـم حُـبّ الدُّنيـا وزينتَهـا .. لشـوهِدوا يَنْكَـسِرون فـوق

حُطامِها .. أو يَجْزَعون من هَوْل الخسائر التي أُلحِقَت بهم .. من فظاعةِ فَقْدِ الأحبّةِ والأقربين .. لكنّهم تسامَوْا فوْقَ الحطام والخسائر .. وعَدُّوها في رصيدِهم عنْد الله تعالى .. واعتبروها تضحياتٍ واجبةً لأجل حريّتهم وحقوقهم وكرامتهم ..

ولَنْ يَسْتَقِرّ هذا الدرسُ في وَعْي الذين يعلمون ظاهراً من الحياةِ الدُّنيا وهُم عَن الآخرةِ هُم غافِلون .. ولنْ يُدرِكَه الذين طاب لهم الاغترافُ من الدُّنيا والتثاقُلُ إلى الأرض .. الذين فَرِحوا بالحياةِ الدنيا .. وما الحياةُ الدنيا في الآخرةِ إلاّ متاع .. ثم إنّ المساجدَ التي هوَت مآذنُها .. وفُجِّرت قِبابُها .. وقُوِّضت جدرانُها .. هي ذاتُها التي ابتُنيَت من قبلُ مرّاتٍ ومرّات .. وسيبتنيها الرُّكّعُ السجودُ من بعدُ إن شاء الله .. ليُذكَر فيها اسمُ اللهِ كثيرا ..

والجامعاتُ والمعاهدُ العلمية والمكتبات .. التي أحالها جيشُ البغيِ خرائبَ وأطلالاً .. هي ذاتُها التي شُيِّدت بعدَ كُلِّ مرّة هُدِّمت فيها أو أُحرِقت ..وستعود دوْحاتٍ للعلمِ والمعرفة عن قريبٍ إن شاء الله ..

فلا تَغُرَّنّكُم مشاهدُ الخرابِ الرّهيبِ .. والأطلالِ المتزاحمة .. والأنقاضِ المتراكمة .. فإنّ الاتِّكالَ على الله تعالى .. واستلهامَ العوْنِ منه .. سيعيدُها إن شاء الله فوقَ ما كانت عليه .. فكيْفَ لك أخي الكريم من بعدُ وأنْت ترى هذا المثالَ العَمَلِيَّ المرئيّ .. أن تَسْمَحَ لِضَعْفٍ بأنْ يَسْتَوْلِيَ عليْك .. أو أن تَرْكَنَ لعَجْزٍ يستحوذُ على إرادَتِك؟

هي غزّةُ إذ تُقيمُ الحُجّةَ على كُلِّ مَن يقول: لا طاقةَ لي بكذا أو كذا .. لا طاقةَ لي بحفظِ آياتٍ من كتابِ الله تعالى! لا طاقةَ لي بِتَرْكِ ما اعتدتُ عليه! لا طاقةَ لي بعملٍ أو كَسْبٍ أو تَعَلُّمٍ أو تطوير! لا طاقةَ لي بصيامٍ أو صدقة! لا طاقةَ لي بِبَذْلٍ أو عَطاء! .. فغزّةُ تقيمُ الحُجّةَ على كُلِّ من يستسلمُ لعجزه أو كسَله .. أو يرضخُ لِجُبْنِهِ أو بُخْلِه!

نَقَلَتَ إلينا الكتُبُ سِيَرَ الصالحين عبر العصور .. وها هي المشاهدُ المصوّرةُ .. المحمولةُ بالبَثِّ المباشِر وعبر الشاشاتِ والشبكات .. تَنْقُل إلينا نماذجَ عمليةً مُلهِمةً لإنسانِ العصر .. تُعينُه على الرُّشْدِ في مسالكِ الحياة .. كي تَنْتَظِمَ الأولويّاتُ

عنـدَه كـما ينبغـي .. تقديـماً وتأخـيرا .. وكـي يَتَحـرّرَ مـن ثقافـةِ الاسـتهلاكِ الجامحـة .. التـي تُضَخِّـم اقتنـاءَ الماديّـاتِ وتَحُـضُّ عـلى التراكُـضِ خلْفَ السِّـلَعِ التي لا نحتاجُ كثيراً منها في واقـعِ الأمـر.. فهـذه النـماذِجُ العمليـةً المُلهِمـة .. تعـينُ إنسـانَ العـصرِ في التخلُّـصِ مـن تَحَسُّسِـه المُفْـرِط لمـا قـد يمسّـه مـن كـدَرٍ وهمـوم أو أرقٍ وانشـغال .. فـإنّ الإنسـانَ إنْ أدرك الغايـةَ مـن الوجـود .. ولم تـأسِرْهُ الدُّنيـا وزينَتُهـا .. يكـون الإنسـانُ عندهـا قـد تحـرّر بحـقٍّ وارتقـى المُرتَقَـى .. وأدرك معنـى قوْلَـه تعـالى ﴿وَمَـا الْحَيَـاةُ الدُّنْيَـا إِلَّا لَعِـبٌ وَلَهْـوٌ ۖ وَلَلـدَّارُ الْآخِـرَةُ خَـيْرٌ لِلَّذِيـنَ يَتَّقُـونَ ۗ أَفَـلَا تَعْقِلُـونَ﴾ – سـورة الأنعـام ٣٢

يكـونُ الإنسـانُ عنْدَهـا قـد أدركَ معنـى قوْلَـه تعـالى ﴿وَمَـا أُوتِيتُـمْ مِـنْ شَيْءٍ فَمَتَـاعُ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَزِينَتُهَـا ۚ وَمَـا عِنْـدَ اللَّهِ خَـيْرٌ وَأَبْقَـىٰ ۚ أَفَـلَا تَعْقِلُـونَ﴾ – سـورة القصـص ٦٠

يكـونُ الإنسـانُ وقتهـا قـد أدرك مغـزى قولـه تعـالى ﴿إِنَّمَـا مَثَـلُ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا كَمَـاءٍ أَنْزَلْنَـاهُ مِـنَ السَّـمَاءِ فَاخْتَلَـطَ بِـهِ نَبَـاتُ الْأَرْضِ مِمَّـا يَـأْكُلُ النَّـاسُ وَالْأَنْعَـامُ حَتَّـىٰ إِذَا أَخَـذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَـا

وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ – سورة يونس ٢٤

هكذا قدّمت غزّةُ لنا ولشعوبِ العالم .. دروساً في عِزّةِ الإنسانِ وكرامَتِه .. وعِظاتٍ في صلابةِ الإرادةِ ومَتانةِ الاحتمال .. فجادَت غزّةُ علينا وعلى عالمِنا بنماذِجَ مُلهِمةً في الصبْر والاحتساب .. والتكافُلِ والتراحُم .. وفي ارتقاءِ الإنسانِ فوْق أوجاعِه .. وتساميه فوْق آلامِه .. إنْ تهيّأَ لَهُ إدراكُ مغزى الوجود .. وتطلّع ناظراهُ إلى المعالي ..

فيا أهلَ غزّةَ .. لا تَهنوا ولا تحزَنوا وأنتُم الأعلونَ بإيمانكم ..

يا أهلَ غزّة .. إن يَمْسَسْكُم قرحٌ فقد مَسّ القوْمَ قَرْحٌ مِثلُه .. وتلكَ الأيّامُ نُداوِلُها بين الناس .. ولِيَعْلَمَ اللهُ الذين آمَنوا ويتّخِذَ مِنْكُم شهداء ..

يا أهلَ غزّة .. ها أنتم من فوق الأنقاض تفتحون أبصارَ الأُمَم والمجتمعات على دُروسٍ بليغةٍ وعِظاتٍ عميقة .. تشتدّ حاجةُ البشر إليْها في هذا الزمان ..

يـا أهْـل غـزّة .. نسـأل الله تعـالى أن يتقبّـل تضحياتِكِـمُ العزيـزة .. وأنْ يَرْبِـطَ عـلى قلوبِكُـم .. وأن يُؤتِيَكـم ثـوابَ الدُّنيـا وحُسْـنَ ثـوابِ الآخِـرَة ..

عن عبدالله بن عمر قال : قال رَسولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمَ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِم كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَوم القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ»

صحيح البخاري - ٢٤٤٢

الموضوع التاسع

عن الأخوّة والتزاماتها

نَقِفُ اليوْمَ وقْفةً لابُدّ منها، مع حديثٍ نبويٍّ شريف، على قائِلِه أفضلُ الصلاةِ وأَتمُّ التسليم .. مع حديثٍ ما أشدّ حاجتِنا إلى مُدارَسَتِه والامتثالِ لمقتضاه .. إذ يقولُ النبيُّ الأمين، صلوات ربِّي وسلامُه عليه: «المسلمُ أخو المسلم، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُه، ومَن كان في حاجَةِ أخيهِ كانَ الله في حاجته، ومَن فرّج عن مسلمٍ كُرْبَةً فرّج اللهُ عنه كُرْبَةً من كُربات يوم القيامة، ومَن سترَ مُسلِماً سترَه الله يوم القيامة». أخرجهُ البخاريُّ والمسلم.

وإننا إذ نجدُ هذا الحديثَ الشريفَ عند البخاريِّ ومسلم في أبواب المظالم والغَصْب، والبِرِّ والصِّلةِ والآداب .. فإننا نُدْرِكُ من خلالِ ذلكُم أيضاً .. مدى مُناسبَةِ هذه الوصيّةِ النبويّةِ لما

شهدناه وعشناه .. لموقفِنا هذا الذي خالجَناهُ ووَاكَبْناه .. فما جرى في غزّةَ ظُلْمٌ وأيُّ ظُلم .. جَوْرٌ وأيُّ جَوْر .. اغتصابٌ للحقوق واستلابٌ للعدالة .. وهو كُرْبَةٌ أُوقِعَت .. ليس على مُسْلِمٍ واحدٍ أو مسلمة .. وإنّما على مليونِ طفل .. على مليونينِ وثلاثمائة ألف من أخوتنا وأخواتنا في معسكر اعتقالٍ يُمْطَرُ بالحِمَمِ الملتهبةِ وأطنانِ الموْتِ والدمار دقيقةً بعد دقيقة .. اسمه قطاعُ غزة .. وهذا على موسمٍ مديد .. موسمٍ حافلٍ بالقتلِ الجماعيِّ الرهيب .. موسِمٍ يَعُجُّ بالدمارِ الشامِلِ الفظيع ..

أخي المسلم .. أخوكَ في غزّة .. أختُكَ في غزّة .. أُمُّكَ في غزّة .. صغيرتُكَ في غزّة .. مسّهم الضُرُّ .. مسّهُم القَصفُ الوحشيُّ .. مسّهم التجويعُ والتعطيش .. مسّهم التقتيلُ والتدمير .. كانت لهم بيوتٌ فهُدِّمت تهديما .. صاروا يبيتون في العراء .. يفترشون الأنقاضَ ويلتحفون السماء التي انهمرَتْ منها حِمَمُ القتْل التي فتكَتْ بهم .. جرى هذا على مرأى مِنِّي ومِنْكَ أخي المسلم ومَسْمَع .. فتذكّر قوْلَ نبيِّك الكريم .. صلى الله عليه وسلم .. «ومَن ستَرَ مُسلِماً سترَه الله يوم القيامة»..

ولا يخفى عليكَ أخي .. أنّ أُخوَّةَ الدِّينِ والعقيدةِ والإيمان .. مُقرّرةٌ في كتابِ الله تعالى، كما في آيةِ الحجرات ﴿إنّما المؤمنون إِخْوَة﴾ ..

على أنّ الأُخُوَّةَ ليست شِعاراً وحسب .. ليسَت كلمةً جوْفاء .. فهي آصِرَةٌ وُثقى لا انفصامَ لها .. وتترتَّبُ عليها التزاماتٌ واستحقاقاتٌ لا تَصِحُّ الغَفْلَةُ عنها أو التقاعُسُ عن أدائِها على وَجْهِها الأمثل ..

وهذا ما يُنبِّهنا إليْهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .. فتأمَّلْ قوْلَ الحبيبِ المصطفى عليه الصلاةُ والسلام: (المسلمُ أخو المسلم، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُه، ومن كانَ في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مُسلِمٍ كُرْبَةً فرّج اللهُ عنه كُرْبَةً من كُرباتِ يوْمِ القيامة، ومَنْ سَتَرَ مُسلِماً سترَه الله يوم القيامة).

أخي المسلم! .. إنْ كانت لديْكَ حاجةٌ ترجوها مِنَ الله تعالى .. فإنّ وقوفَك مع إخوةِ الدِّينِ والعقيدةِ والإيمان الذينَ أُبيدوا في غزّةَ وهُجِّروا ظُلماً وعدواناً ولم يجدوا ما يَسْتُرُهُم .. هو بابٌ مفتوحٌ إن رَجَوْتَ الأجْرَ والمثوبةَ من بارِئِكَ وأنْ يكونَ اللهُ تعالى في حاجَتِكَ.

أخي المسلم! .. إن رَغِبْتَ بأن يُفَرِّجَ اللهُ عنْك كُربةً من كُرباتِ يوْمِ القيامة .. وما أعظمُها مِن حاجة .. فإنّك مَدْعُوٌّ بمقتضى هذا التوجيهِ النبويِّ الواضِح .. إلى أن تسعى في تفريجِ كُربةِ إخْوَتِكَ في الدِّينِ والعقيدةِ والإيمانِ في غزّة .. الذين يَلْفِظُ الواحِدُ منهم أنفاسَه الأخيرة وهو يرفَعُ إصبَعَ الشهادةِ صابراً محتسباً ..

وقد تحسَبُ أخي المسلمُ واهماً أنّكَ لا تستطيعُ القيامَ بواجبِكَ هذا .. فلعلّك لم تُدرِكْ أنّ الوقوفَ معهُم في كُرْبَتِهِم .. والسعيَ في إنصافِ الحقوقِ والعدالةِ ونبْذِ الظُّلمِ والعُدوان .. هو بابٌ في القيامِ بواجباتِ الأُخَوَّة .. أن تسعى في ذلكَ مع الساعينَ بالقوْلِ والمَوْقف .. وأن تَبْذُلَ ما تملكُ مَنْ وَقْتٍ وجُهْدٍ واجتهادٍ ومالٍ وعطاءٍ وحضورٍ لأجْلِ هذا الهدفِ النبيلِ .. الذي لا يَصُحُّ القعودُ عنه وقد بَلَغَتْ المذبحةُ مبلَغَها .. والإبادةُ مَداها .

وإنْ أَرَدْتَ أنْ يُحَقِّقَ اللهُ تعالى حاجَتَكَ فلا تَصْرِفْ عينيْكَ عَن ذوي الحاجات .. وأيُّ حاجةٍ تتقدَّمُ على أمّهاتٍ ثكالى وأطفالٍ سُحِقوا ومرضى أُبيدوا .. هم إخوةٌ لكَ وأخوات؟

واعلَم أخي المسلم .. والكلامُ هنا للرِّجالِ والنِّساءِ جميعاً .. للشبابِ والفتياتِ معاً .. اعلَمْ .. أنّكَ إذْ تَضَعُ نَصْبَ عينيْك حاجاتِ أكثرِ من مليونيْ إنسان .. هُمْ أخوتُكَ وأخواتِكَ .. إذ تَضَعُ هذه الحاجاتِ والكرباتِ والمظالمَ نصْبَ عينيْكَ ومَوْضِعَ ناظريْك .. ولا يُغْمَضُ لَكَ جِفْنٌ أو تَقَرُّ لك عيْنٌ أو يَطيبُ لكَ طعامٌ أو شراب؛ .. وأنت تُشاهِدُ إبادَتَهُم وتهجيرَهُم .. وأنْتَ ترى تقتيلَهُم وتدميرَ بيوتِهم ومخيّماتِهم .. فإنّكَ بهذا تَمْتَثِلُ لمقتضى التوجيهِ القرآنيِّ والهَدْيِ النبويِّ .. وتستجيبُ أيضاً لمقتضى المبدأِ والضمير .. وتُحقِّق إنسانيّتَكَ أيضاً التي تَقِفُ مع الأمِّ والطِّفْلِ .. والرّضيعِ والمريضِ .. والمُصابِ والمكلوم .. لا تُسْلِمه لأنيابِ الإبادة .. لا تخْذِلُه في موْقفِ التهجير .. لا تَتْركُه لمخالِبِ الوحشية .. لا تَغْفَلُ عن كُرْبَتِهِ ولا تسهو عن حاجَتِه ..

وأنتَ بهذا تعمَلُ بالوصيّة النبوية .. «المسلمُ أخو المسلم، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُه» .. ومِنَ الظُّلمِ أن تَسْكُتَ عن هذِهِ المقتلَةِ الفظيعة .. ومن الظُّلْمِ أن تَصْرِفَ النظرَ عن هذه الإبادةِ التي رأيتَها رَأْيَ العيْن أو أن تقعُدَ عن التصرُّفِ الواجبِ بالموْقفِ

والكلمةِ والتعاونِ والبذْلِ بالجُهْدِ والوقتِ والمال على النحوِ الأمثل.

وإنّنا إذ نستذكِرُ معنى أُخوّةِ الدِّينِ والعقيدة، فإننا لا نغفلُ عن أخوَّةِ القيَمِ والمبادئِ والضمائر .. التي ينبغي أن تجمَعَ أُسرَتَنا الإنسانيةَ على كلمةٍ سواء .. تُناهِضُ فيها الظُّلمَ .. وتُعَطِّل عبرَها الإبادةَ .. وتتصدّى من خلالها للتقتيلِ والتدميرِ والتهجير ..

لقد أوقعَ مجرمو الحربِ كارثةً إنسانيةً فظيعةً في غزة .. محمولةً إلى أسماعِ العالمِ وأبصارِه عبرَ البثِّ المباشر .. وأسقطَ داعمو الإبادةِ القانونَ الدوليَّ وداسوا مواثيقَ الأمم .. وأوقعوا عالَمَنا في أزمةٍ قيميةٍ ومُعضِلَةٍ أخلاقية .. وينبغي أن تتكاتفَ الجهودُ النبيلةُ جميعاً لوقفِ الجريمةِ الشنيعةِ ضدّ الإنسانية .. التي هي جريمةٌ ضدّنا جميعاً نحن البشر .. جريمةٌ ضدّ إنسانيتِنا .. جريمةٌ ضدّ مبادئِنا .. جريمةٌ ضد مواثيقِنا .. جريمةٌ ضد أخلاقياتِنا .. جريمةٌ ضدّ كرامتِنا .. وإنّ عالماً يَسْمَحُ بهذه المقتلةِ الرهيبةِ بحقّ الأطفال والنِّساءِ والمستضعفينَ شهريْن

مُتتابعـيْن .. ويتهـاوَن مـع هـذه الوحشـية وهـي تدخـلُ شـهرَها الثالـثَ ويواصِـلُ تبريرَهـا .. هـو عـالمٌ لا أمـانَ فيـه ولا حقـوقَ ولا عدالـة ..

ولا يفوتُنـا في هـذا المقـام أن نتوجّـه إلى أخوتِنـا وأخواتِنـا في غـزّة .. فيـا أهْـلَ غـزّة .. لا تَهِنـوا ولا تحزنـوا وأنتـم الأعلـون بإيمانكـم .. يـا أهـلَ غـزّة .. إن يَمْسَسْـكُم قـرحٌ فقـد مَـسّ القـوْمَ قَـرْحٌ مِثلُـه .. وتلـكَ الأيّـامُ نُداوِلهـا بـين النّـاس .. ولِيَعْلَـمَ اللهُ الذيـن آمَنـوا ويتّخِـذَ مِنْكُـم شـهداء

قال تعالى..

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

سورة البقرة، آية ١١٤

الموضوع العاشر

العدوان على الإنسان والمقدّسات والحرمات

فقد قال الله تعالى في مُحكَم التنزيل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ سورة التوبة، آية ١٨.

وقال عزّ وجلّ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ سورة الجن، آية ١٨.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

سـورة البقـرة، آيـة ١١٤

وإنّنـا اليـوْمَ نَقِـفُ مـع عُـدوانٍ مشـهودٍ عـلى بيـوتِ الله تعـالى .. عـلى منـبرِ رسـولِ الله صـلى الله عليـه وسـلم .. عـلى مقدّسـاتِ الإسـلامِ والمسـلمين .. عـدوانٍ يبتغـي إذلالَنـا في ديننـا وإهانتَنـا في عقيدتِنـا ..

فقـد فَجّـرَ الغـزاةُ مسـاجدَ غـزّة .. أطاحـوا بمآذنِهـا وقِبابِهـا .. هَـوَت سـقوفُها فـوقَ الـرؤوس .. وأحالـوا فضاءاتِهـا إلى رُكام .. جعلوهـا أنقاضـاً تحتـوي أشـلاءَ الرُّكّـعِ السُّـجود .. مـع بقايـا مصاحِـفَ شريفـةٍ أحرَقهـا القصـفُ الهمجـيّ ..

وقـد شـاهدنا مـا اقترفـوه في أكـبرِ مسـاجدِ غـزّةَ وأعرقِهـا .. الجامعِ العُمَـريِّ الكبـير .. الـذي دمّـروه تدميـراً .. دون أن يُعْبَـأ بذلكـم أو يُكـترَث .. في عالمنـا الـذي هَـبّ قَلِقـاً بعـد حريـقٍ أتـى قبـل سـنوات عـلى كنيسـةِ نوتـردام ..!

وقـد رَفَـعَ جيْـشُ الغُـزاةِ أعـلامَ الاحتـلالِ فـوق مـآذنِ الضِّفّـةِ الغربيـة .. واتّخذهـا أبراجـاً للقَنْـصِ والقَتْـل .. عـلى مـرأى مـن العـالمِ أجمَـع ..

ثـمّ شـاهَدْنا .. وشـاهَدَ العـالمُ مَعَنـا .. مـا اقترَفَـه أولئكُـم الجنـودُ .. داخـلَ مَسْـجدٍ في جنـين .. دنّسـوهُ بأسـلحتِهِم وأحذيتِهـم .. شـوّهوا جدرانـه .. سَـخِروا مـن ديننِـا ومقدّسـاتِنا ومصاحفِنـا .. اعتلـوا المنـبَرَ الطاهِـرَ وأقامـوا صلـواتٍ عابثـةً .. واسـتخدَموا مُكـبِّرَ الصـوْتِ المُخصّـصَ لرفـعِ الأذانِ وتـلاوةِ آيِ الذِّكْـرِ الحكيـم .. اسـتخدموه للعَبَـثِ والتدنيـس .. وقـد حرصـوا عـلى تصويـر فَعْلَتِهِـم الشـنعاءَ التـي فعلـوا .. ونَقْـلِ مقاطِعِهـا المرئيـةِ ليُشـاهِدَها مُسـلمو الأرضِ قاطبـةً .. ابتغـاءَ الإهانـةِ وابتغـاءَ الإذلال ..

إنّهـم الغـزاة .. الذيـنَ يَحتلّون المُقَدّسـاتِ في القُدس .. ويسـتبيحون المسـجدَ الأقـصى المبـارك .. ويَسـفِكون دمـاءَ الأبريـاءِ في فلسـطينَ .. يقترفـون الفظائـعَ الرهيبـة التـي يشـاهدها العـالمُ عـبر البـثّ المبـاشر ..

إنّـه تدنيـسٌ سـافِرٌ لمقدّسـاتِ الإسـلامِ والمسـلمين .. لـكلِّ مسـاجدِ الأرض .. لـكلِّ منابـرِ العـالم ..

إنّـه صَـدٌّ عـن سـبيلِ الله .. تدمـيرٌ لبيـوتِ الله .. عَبَـثٌ في بيـوتٍ أَذِنَ الله أن تُرفَـعَ ويُذكَـرَ فيهـا اسـمُه ..

وقد شاهدنا هذا العبثَ أيضاً في مدارسَ ورياضِ أطفال .. في مستشفياتٍ وعيادات .. شاهدناه في مكتباتٍ علمية .. شاهدناه في مقاطعَ مرئية .. يتباهى فيها جيشُ الغُزاة وجنودُه بقصف المنازل وإهداء مقاطِعِ التدمير الشامل لذويهم .. ويستمتعُ بعضُ الجنودِ بتحطيمِ ألعابِ رُضّع .. وتهشيمِ عرائسِ أطفال .. ورمْيِ دفاترِ تلاميذ .. وتصويرِ هذا العبَث وبَثِّهِ ليَراهُ العالمُ أجمع ..

إنّ هذا العدوانَ الوحشيَّ على شعبِ فلسطينَ .. أطفالاً ونساءً وشيوخاً ومرضى .. هو جريمةٌ ضدّ الإنسانيةِ جمعاء .. ضد قِيَمِها ومبادئها ومواثيقِها وشرائعها .. ضدّ الحياةِ البشرية .. ومَن قتَلَها فكأنّما قتلَ الناسَ جميعا ..

إنّ تِلْكُم الفظائعَ التي شَهِدَها العالم .. وفنونَ البطشِ والتنكيلِ والإذلالِ التي أبصرناها جميعاً في تلكَم المشاهد .. هي تعبيرٌ ظاهرٌ عن حِقْدٍ دفين .. وهي أمارةُ عداءٍ للإنسان .. عداءٍ للطفولة .. عداءٍ للحياة .. وهي تكشف عن هوَسٍ بالقتْل الجماعيّ .. والتدميرِ الشامل .. والعُدوانِ السافر .. وهي تُنْبِئُ

عـن مشـاعر غـيرِ سـويّة .. وهـي نتـاجُ ثقافـةٍ تَسـتمرئُ البطْـشَ والعـدوانَ والتعـالي والغطرسـة ..

إنّ هـذه الاعتـداءاتِ الشـائنة .. عـلى بيـوتِ الله .. وعـلى حُرمـاتِ النـاس .. وعـلى عِصْمَـةِ الدِّمـاءِ والأرواح .. هـي فضائـحُ كاشـفةٌ للمـدى الـذي بلغَـهُ هـؤلاء المعتـدون .. ومـن عجائـبِ عالمنـا أن يتهـاونَ مـع هـذه الاسـتباحةِ السـافرةِ للقيَـمِ والمبـادئِ والمواثيـقِ والشرائـع .. وأن يتسـتّر بعـضُ الساسـةِ عـلى مـا يُقـترَفُ مـن فظائـعَ تحـتَ الأسـماعِ والأبصـار .. وأن يُمّـدَّ جيـشُ العـدوان بآلـةِ الجريمـةِ وذخائـرِ الفتـك ..

عـلى أنّ هـذا التـمادي في الغَـيِّ .. هـذا الإسرافَ في الفظائـع .. هـذا التباهـي بـالإذلالِ والتوحُّـش .. أنّ هـذا يُـؤذِنُ بانكسـارِ العـدوان .. ونهايـةِ الظُّلـم .. وأُفـولِ القهـر .. فـلا يـأتي بمثـلِ هـذه الأفاعيـلِ إلاّ مَـن هُـزِمَ في داخِلِـه .. وأدرَكَ عجْـزَه .. وَظَنُّـوا أنّهـم مانِعَتُهُـم حُصونُهُـم مِـن الله .. لقـد أوقـعَ مجرمـو الحـربِ كارثـةً إنسـانيةً فظيعـةً في غـزة .. محمولـةً إلى أسـماعِ العـالمِ وأبصـارِهِ عـبر البـثّ المبـاشر .. وأسـقط داعمـو الإبـادةِ القانـونَ الـدوليَّ وداسـوا مواثيـقَ الأمـم .. وأوقعـوا عالمَنـا في أزمـةٍ قيميـةٍ ومُعضلـةٍ أخلاقية

.. وينبغي أن تتكاتفَ الجهودُ النبيلةُ جميعاً لوقفِ الجرائمِ الشنيعةِ ضدّ الإنسانية .. التي هي جرائمُ ضدّنا جميعاً نحن البشر .. جرائمُ ضدّ إنسانيتنا .. جرائمُ ضدّ مبادئنا .. جرائمُ ضدّ مواثيقنا .. جرائمُ ضدّ أخلاقياتِنا .. جرائمُ ضدّ كرامتِنا .. وإنّ عالماً يسمحُ بهذه المقتلةِ الرهيبةِ بحقِّ الأطفالِ والنساءِ والمستضعفين .. ويتهاوَن مع هذه الوحشيةِ ويواصلُ تبريرَها .. هو عالمٌ لا أمانَ فيه ولا حقوقَ ولا عدالة ..

قال تعالى..

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

سورة البقرة، آية ١٥٥

الموضوع الحادي عشر

مشاهد وعِظات من غزّة

فـإنّ الكلمـةَ اليـوم .. هـي لأهـلِ الموقـف .. الذيـن أطلُّـوا عـلى عالَمِنـا مـن بـين الأشـلاءِ والأنقـاض .. ليَمْنَحُونَـا دروسَ الصـبرِ والاحتسـاب .. وعِظـاتِ الثّبـاتِ والطمأنينـة ..

الكلمـةُ لهـؤلاءِ الذيـن أصابهـم القـرحُ وزُلزِلـوا زلـزالاً شـديداً .. ومـا عَهِدْناهـم إلاّ عـلى إيـمانٍ ويقـين .. واحتـمالٍ مُعجِـبٍ للبـلاءِ بـلا جـزعٍ ولا فَـزَع .. وتسـليمٍ غامِـرٍ بقضـاءِ الله وقَـدَرِه ..

لَكُـم الكلِمـةُ يـا أهـلَ غـزة .. لكُـم المنابـرُ لترتَقوهـا .. وقد أنعشْـتُم أرواحَ الأمَـمِ وأيقَظْتُـم قيَـمَ الشـعوب .. وحرّكتُـم الميـاهَ الراكـدةَ مِـن أعماقِهـا ..

لـكَ الكلمـةُ اليـومَ يـا «أبـا ضيـاء» .. لـكَ الكلمـة يـا خالـدُ نبهـان .. أيُّهـا الفاضِـلُ الوَقـور .. يـا مَـن عرفنـاكَ وأنـتَ تحمِـلُ حفيدتَـكَ

الصغيرة .. التي قتَلَها جيْشُ الوحشيةِ بلا رأفة .. أجْهَزَ على براءتها الغُزاةُ البُغاة .. عرفناكَ وأنتَ تخاطِبُها بحُنُوٍّ وعَطْفٍ بيْنَ ذراعَيْك.. بعد أن ارتقَتَ روحُ الصغيرةِ .. وروحُ شقيقِها .. إلى البارئِ تبارَكَ وتعالى ..

حملتَ حفيدتَكَ الصغيرةَ ريم .. خاطبْتَها بحُنُوٍّ بالِغ .. وعَطْفٍ سابغ .. قائلاً لَمِن مَعَك: هذه روحُ الرُّوح .. روحُ الرُّوح .. وسألتَها بإشفاقٍ وحُبّ .. وقد صارت جسداً هامِداً تحمِلُهُ برحمة .. عن شقيقِها الصغيرِ الذي افْتَقَدْتَه .. الصغيرِ البريءِ الذي أجهزَ مجرمو الحربِ عليه ..: أين طارق؟ .. وكأنّها ستُجيبكَ في هذا الموقفِ الذي لا يحتملُ وطأتَهُ إلاّ مَن كان بمثلِ قلبِكَ الكبيرِ واحتسابِكَ العظيم ..

ثمّ ماذا يا «أبا ضياء» .. أيُّها الجَدُّ المكلوم .. ذو الفؤادِ المفجوعِ بحفيديْه .. الثابتِ على إيمانٍ بالله ويقينٍ لا يتزحزح ..

ماذا تقولُ لنا أيُّها الإنسانُ النبيل .. استَمِعوا بِرَبِّكم إلى ما ذَكَرَهُ لنا ولعالَمِنا من بَعْدُ في مشهدٍ آخَر:

«أتقدّم بالشكْرِ الجزيل .. بخالِصِ محبّتي .. لكلِّ إنسانٍ .. تأثّرَ بلحظةِ وَداعي لطارق وريم .. رُوح الرُّوح ..

إنّ محبّتكم هذه .. ودموعَكم التي انهَمَرَت من أجلِنا .. لامَسَت قلبي وروحي ..

هذه الدموعُ الغالية علامةٌ على مدى صِدقِكُم .. ولقد بَكَيْتُ لبكائكم .. ولقد بكيتُ لبكائكم ..

إنِّي أحبَبْتُكم دون أن ألتقِيَ بكم .. وأقولُ لكم جميعاً: .. أبشِروا بالخير .. فإنّ مع العسْر يُسرا .. إنّ مع العسْر يُسرا .. سنلتقي بإذنِ الله تعالى على الخيْرِ والمحبّةِ والأمَل».

يا لها مَن مَعانٍ عظيمة .. يحتاجُها كلُّ إنسانٍ اليوم .. جُدْتَ بها علينا يا «أبا ضياء» ..

ثمّ إنّكَ تُضيفُ قائلاً .. مُخْبِراً عالَمَنا عن سِرِّ هذه العاطفةِ الجيّاشة .. والسكينةِ التي اطمأنّ بها قلبُكَ في هذا الموقِف العصيب .. يضيفُ مُوضِّحاً:

«لِمَن يسألُ عن هذا الثباتِ والصبر .. في لحظةِ الوداع ..

أقول: إنني تعلّمتُ هذا الصبرَ .. وهذا الثباتَ .. وهذه المحبّةَ .. من إسلامِنا العظيم .. ومن أخلاقِ الأنبياءِ والمُرسلين .. منذ آدمَ عليهِ السلام .. أبي البشر .. مروراً بداوُدَ وسُليمانَ وإبراهيمَ وإسحقَ وإسماعيلَ .. والمسيحِ ابنِ مريم .. وموسى ومحمّد ..

صلواتُ ربِّي وسلامُه عليهم أجمعين.
وفي الختامِ أترككُم في رعايةِ الله وأمْنِه.» هذا ما قاله ..

ونحنُ نبادِلُكَ السلامَ يا «أبا ضياء» .. ونقولُ لك: طَمْأنَ اللهُ قلبَك المكلوم .. وأنْزَلَ على أهلِكَ وشَعبِكَ السكينةَ في مُصابِهم وفواجِعِهم .. جزاكَ الله عنّا خيراً يا «أبا ضياء» .. نُشهِدُ اللهَ تعالى أننا أحبَبْناكَ .. فقد وَعَظْتَنا وأحسَنْتَ الموعظة .. وَعَظْتَ عالَمَنا بالمَوْقِفِ المشهودِ والكلمةِ الطيِّبةِ والدمعةِ الرقيقةِ والمشاعِرِ الفيّاضة .. حتى خِلْنا أنفُسَنا مكانَك .. وقد حمَلْتَ إلَيْنا نَبْضَ قَلْبِكَ وصِدْقَ إحساسِكَ ونُبْلَ خُلُقِكَ وجميلَ عَطفِك ..

يا «أبا ضياء» .. إنّا نُقرِئُكَ السلام .. ونقولُ لكَ ولأهلِ غزّة .. أطفالِهم وأمّهاتِهم .. شيوخِهم وجدّاتِهم .. مرضاهُم ومُصابيهم .. ولأهلِ البذْلِ والتضحيةِ منهم .. نقول لكُم جميعاً: أبشِروا ببيعِكُمُ الذي بايَعْتُم به .. ومَن أوْفى بعهدِه من الله .. أبشروا ببيعِكُم الذي بايَعْتُم به .. وإنّ الله لا يُضيعُ أجرَ مَن أحسَن عملا .. إنّ الله لا يُضيعُ أجْرَ الصابرينَ المحتسبين ..
ثمّ ماذا بَعْدُ؟ .. تخاطِبنا أمٌّ غَزِّية فاضِلة .. شاهدناها في مقطعٍ

مرئـيٍّ .. عندمـا جـاءَ مَـن يُصَـوِّر أحوالهَـا مـع أطفالِهـا تحـت العـدوانِ والقصـفِ والتجويـعِ والتشريـدِ والترويـع .. كـي يَنْقُلَهـا إلى العـالمِ بالمشـهدِ المرئـي ..

فماذا قالت؟ اسمعوا بربِّكَم قوْلَها:
«كلُّ العـالمِ يتفـرّجُ علينـا .. نحنُ لسنا فُرجَـة» .. تقولُ بِعِـزّة نفسٍ: «نحـن أشرفُ شعبٍ في العالم .. لا نريـدُ أن يُصَوِّرَنا أحد».
هـي لا تقولهـا اسـتعلاءً بـل تأكيـداً لعـزّةِ نفسِـها وأصالـةِ معدَنِهـا واسـتعفافِ مجتمعِهـا واستشـعارِها معيّـةَ الله الكبـيرِ المتعـال .. إذ تقـول: «كلُّ العـالمِ المتجـبِّرِ يَقِـفُ مـع المحتليّنَ .. لكـنّ اللهُ معنـا .. اللهُ معنـا ..

فَتَحـوا كلّ أبـوابِ المُسـاندةِ للغُـزاةِ المحتلين وأُغلقـوا كلَّ الأبوابِ في وجهِنـا .. وجـهِ الفلسـطينيين .. لكـنّ بابـاً فوقهـم جميعـاً مُنْفَتِـحٌ لنـا .. هـو بـابُ الصِّلـةِ بـالله تعـالى» .. تقولُهـا الأمّ الكريمـةُ النبيلة .. الواثقـةُ مـن صِحّـةِ مَنْطِقِهـا وهـي تَكْنُـسُ فنـاءَ الـدارِ التـي يهدِّدهـا القصـفُ في أيِّ لحظـةٍ .. تقولهـا وهـي تُشـير بيدِهـا إلى السـماء .. ثِقَـةً بـالله تعـالى .. واطمئنانـاً مـن قلبِهـا بمعيّـةِ الله تعـالى في أحْلَـكِ الظـروفِ وهـي بـين صِغـارٍ يتهدّدُهـم السـحقُ علَى مـدارِ السـاعة .

تقـولُ الأمّ الثابتـةُ .. الراسـخةُ عـلى الحـقِّ واليقـين: .. «لا نريـدُ أن يعطِـفَ عليْنـا أحـد .. فـاللهُ معنـا .. معنـا الله» .. وتُدلِّـل عـلى ذلـكَ بآيـةٍ مـن كتـابِ الله تعـالى .. تعيشُـها واقعـاً مـن حولِهـا في غـزة.. فتُضيـفُ مُبرهِنَـةً عـلى صِحّـة موقِفِهـا وسـلامةِ يقينهـا: «ألم يَقُـلِ اللهُ تعـالى في القـرآنِ الكريـم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُـم بِـشَيْءٍ مِّـنَ الْخَـوْفِ وَالْجُـوعِ وَنَقْـصٍ مِّـنَ الْأَمْـوَالِ وَالْأَنفُـسِ وَالثَّمَـرَاتِ ۗ وَبَـشِّرِ الصَّابِرِيـنَ﴾ سـورة البقـرة ١٥٥

اللهُ أكـبر .. اللهُ أكـبرُ يـا أهـلَ غـزّة .. هـا قـد أخَلَيْنـا لَكُم المنبرَ اليومَ لِتَعِظونـا بالقـوْل .. وتُعَلِّمونـا بالمثـال .. ومـا أحوَجُنَـا وأحـوَجُ عالمِنـا إلى هـذه العِظـاتِ البليغـة .. وهـذه الـدروسِ العميقـة .. إلى هـذهِ المعـاني النبيلـة وهـذه القيَـمِ الساميـة ..

يـا أهْـلَ غـزّة .. يـا شـعبَ فلسـطين .. لا تَهِنـوا ولا تحزنـوا وأنتـم الأعلـون بإيمانكـم ..

يـا أهـلَ غـزّة .. إن يَمْسَسْـكُم قـرحٌ فقـد مَـسّ القـوْمَ قَـرْحٌ مِثلُـه .. وتلـكَ الأيّـامُ نُداولهـا بـين النـاس .. ولِيَعْلَـمَ اللهُ الذيـن آمنـوا ويتّخِـذ منكـم شـهداء ..

يـا أهـلَ غـزّة .. هـا أنتـم مـن فـوق الأنقـاض تفتحـون أبصـارَ

الأُمَـم والمجتمعـات عـلى دُروسٍ بليغـةٍ وعِظـاتٍ عميقـة .. تشـتدّ حاجـةُ البـشر إليْهـا في هـذا الزمـان ..

يـا أهْـل غـزّة .. نسـأل الله تعـالى أن يتقبّـل تضحياتِكِـمُ العزيـزة .. وأنْ يَرْبِـطَ عـلى قلوبِكُـم .. وأن يُؤتِيَكـم ثـوابَ الدُّنيـا وحُسْـنَ ثـوابِ الآخِـرَة ..

وإنّ قلوبَنـا معكُـم يـا أهْـلَ غـزّة .. فاللهـم بَـرداً وسـلاماً عليكـم .. اللهـم بـرداً وسـلاماً عـلى غـزّة .. اللهـم بـرداً وسـلاماً عـلى الضِّفـة .. اللهـم بـرداً وسـلاماً عـلى القُـدس .. اللهـمّ بـرداً وسـلاماً عـلى فلسـطين ..

اللهـم رُدّ كيْـدَ المعتديـن .. وارْبِـط عـلى قلـوبِ المكلومـين .. اللهـم ارحـم شـهداءهم واشـفِ جرحاهـم واجـبُر كَسْرَهـم ..

اللهـم نسـألك صـلاةً جامعـةً في المسـجد الأقـصى المبـارك .. وقـد رُفِـع الكـرب عـن القـدس وانجلـت الغُمّـة عـن فلسـطين .. ولا تحسـبنّ الله غافـلاً عـمّا يعمـل الظالمـون ..

قال تعالى..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

سورة آلِ عمران ٢٠٠.

الموضوع الثاني عشر

دروس في الصبر والاحتساب عند الشدائد

فقد قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آلِ عمران ٢٠٠. عاشت غزّةُ حربَ الإبادة .. ولا زالت صابرةً محتسبة .. لا زال أهلُها كما عهدناهم صابرين مُحتَسبين .. رغم الأهوالِ التي صُبّت فوق رؤوسهم صغاراً وكباراً على مدار اليوم والليلة .. رغم الشدائدِ التي تفوق الاحتمال والمآسي التي تَشُقّ على البشر ..

إنّ هذا الصبرَ والاحتسابَ عِظةٌ مشهودة .. وكتابٌ مفتوحٌ .. ونموذجٌ مُلهِمٌ للنّاسِ جميعاً .. وهو يُذكِّرنا بهذه الخِصلَةِ النبيلة .. التي لها من الفضْلِ العظيم ما نَبَّهَنا إليه كتابُ اللهِ

تعالى في مواضِعَ عدّة .. وأشار إليه نبيُّنا صلى الله عليه وسلم في مقاماتٍ شتّى ..

ومن فضْلِ هذه الخِصلة أنْ اختصَّ الله تعالى الصابرينَ بالمعيّةِ والحُبِّ .. قال تعالى في آيةِ البقرة: ﴿إنّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة البقرة ١٥٣ .. وقال عزّ وجلّ في آيةِ آلِ عِمْران: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ﴾ سورة آل عمران ١٤٦.
يا لها من منزلةٍ .. أن يكون المرءُ في معيّةِ الله تباركَ وتعالى .. وأن يحظَى بحبِّهِ عزَّ وجلّ.

وقد أنبَأَنا تعالى ببُشرياتٍ للصابرين .. منها قوْلُهُ عزّ وجلّ ﴿وَبَشّرِ الصّابِرِينَ * الّذِينَ إذا أصَابَتهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إنّا لله وَإنّا إلَيهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيهِم صَلَواتٌ مِن رّبِهِم وَرَحمَةٌ وَأولئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ﴾ سورة البقرة ١٥٥ – ١٥٧.

إنّ مَن يَصْبِرْ ويحتَسِبْ .. يَنْتظِرْهُ فوزٌ عظيم .. ومِن ذلِكُم قولُه تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم﴾ سورة فُصِّلَت ٣٥، وقولُه عزّ وجل ﴿إنَّمَا يُوَفَى الصَابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ﴾ سورة الزمر ١٠. والصبرُ على

أنـواعٍ وضُـروب .. فَمِنْـهُ الصـبر عـلى التـزامِ الطاعـاتِ واجتنـابِ المعـاصي .. ومنْـه الصـبرُ عنْـدَ الغضـبِ أو كظْـمِ الغيْـظ .. ومنـه الصـبرُ عنـد المصائـبِ والشـدائد .. ومنـه الصـبرُ عـلى المحـنِ والابتـلاءات .. ومنـهُ الصـبرُ عـلى العِلْـمِ والعمَـلِ والكسْـب ..

وقـد امتـازَ أهـلُ غـزّةَ بالصـبرِ عـلى أشـدِّ المحـنِ والابتـلاءاتِ والمصائـبِ والشـدائد .. مِـن فَقْـدِ الأهْـلِ والوَلَـدِ والأحبّـة .. وتدمـيرِ البيـوتِ وقَطْـعِ الأرزاق .. والعَطَـشِ والجـوعِ والـبردِ والأسـقام .. واحتـمالِ الترويـعِ الـذي طاردَهُـم في كُلِّ لحظـة .. فلـم يحظَـوْا بفرصـةٍ ولـو كانـت يسـيرةً لراحـةِ الأبـدانِ وإغـماضِ الأجفـان .. فالسـقوفُ قـد تهـوي عـلى رؤوسِـهم في كُلِّ حـين .. ولهيـبُ القصـفِ قـد يلتهـمُ أبدانَهـم مـن حيـث لم يحتَسِـبوا .. فتأمّلـوا يـا عبـادَ الله .. تأمّلـوا أحـوالَ هـؤلاءِ الصابرينَ المحتسـبين .. فمنهـم مَـن قَضَـوْا أيّامـاً ولياليَ تحـتَ الأنقـاض .. بـلا شَرْبَـةِ مـاءٍ ولا لُقْمَـةِ غِـذاء .. ولا سـبيلَ لاسـتنقاذهم .. وتَلْهَجُ ألسِـنَتُهُم وأفئدتُهـم بذِكـرِ الله تعـالى إلى أنْ تَصعَـدَ الـرُّوحُ التوّاقـةُ إلى البُشرى مِـن الله .. فتُفـارق الأبـدانَ المنهكـةَ إلى طَلَـبِ الأجـرِ العظيـمِ مِـن بارئهـا ..

وإن أُخرِجَتْ الأشلاءُ من تحتِ الأنقاض .. تَجِدُ الأهالي مِن حولها صابرينَ على ما أصابَهم .. محتسبينَ ذلك عند الله تعالى .

وإنّا لنحسب أهلَ غزة من الصّابِرِينَ فِي البأساء وَالضّراء وَحِينَ البأسِ .. وهؤلاء ممّن قال فيهم تبارك وتعالى ﴿أُولَئِكَ الّذَينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَقُونَ﴾ سورة البقرة ١٧٧ .
الذين صدقوا .. لأنّهم صبروا على المَكارِهِ التي نزلَت بهم .. والأهوالِ التي صُبَّت عليهم .. والأذى الذي تَعَقّبَهم .. صبروا على ذلك واحتسبوه عند الله تعالى .. وهذا من الفَلاحِ في امتحانِ البلاء .. قالَ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِين﴾ سورة محمد ٣١.

وقد جُعِلَ من ثوابِ الصابرين ما أوْرَدَهُ كتابُ الله تعالى في آيةِ الرعد: ﴿وَالملائكةُ يَدخُلُونَ عَلَيهِم مِن كُلِ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدّارِ﴾ سورة الرعد ٢٣–٢٤.
ومن الصبرِ .. صبرُ الأنبياء .. كما في ثناءِ الله تعالى على نَبِيِّهِ أيّوبَ عليهِ السلام بقوْلِه: ﴿إنّا وَجَدنَاهُ صَابِراً نِعمَ العَبدُ إنَهُ أوابٌ﴾ سورة ص آية ٤٤.

ولَـوْ تأمّلْنـا كتـابَ الله تعـالى .. لَوَجَدْنـا أنّ الصـبرَ جـاءَ مقرونـاً في مواضِـعَ عـدّة منـه بأمـورٍ عظيمـة .. فيـأتي الصـبرُ مـع الصـلاة .. ويـأتي مقرونـاً بالتقـوى .. ويـأتي مُلازِمـاً لشُـكْرِ الله تعـالى .. ونجـدُ الصـبرَ مـع المرحمـة .. ونجـدُه مـع الصِّـدقِ .. وفي هـذا كُلِّـهِ مـا يؤكِّـدُ منزلـةَ الصـبْر .. وأنّ هـذه الخِصلَـةَ تجسـيدٌ عمـليٌّ للصـلاحِ والاسـتقامة ..

وإنّنـا إذ نـرى مـن أهـلِ غـزّة هـذا الصـبرَ العظيـم .. فإنّـه يُلهِمُنـا ويُلهِـمُ النـاسَ في التـأسِّي بهـم .. ونُـدرِكُ أنّ صبرَهـم مـا كانَ لـه أن يكـون .. دون إيـمانٍ عميـق .. ويقـينٍ راسـخ .. وأنّ احتسـابَهم كلّ مـا لَقَـوْهُ مـن المصائـبِ والأذى عنـدَ الله تعـالى مـا كانَ لـه أن يكـون .. دونَ انفتـاحِ أفئدتِهـم وعقولِهـم علـى حقيقـةِ أنّ هـذه الـدارَ دارُ فنـاءٍ لا دارَ بقـاء .. وأنّ الآخـرةَ خـيرٌ وأبقـى ..

أمَـا وقـد أدرَكْنـا صبرَهـم واحتسـابَهم وتضحياتِهـم .. فـإنّ علينـا أن نُـدرِكَ واجبَنـا نحوَهـم .. واجبَنا في أن نُسـانِدَهم في اصطبارِهم وثباتِهـم .. وأن نسـعى في التخفيـفِ عنهُـم بـكلِّ مـا يمكـنُ تقديمُه لهـم .. وأن نرفـعَ أصواتَنـا لدعـمِ الحـقِّ والعـدلِ وفي مواجهـةِ

الظُّلـم والعـدوان .. وأن يدركـوا أنّهـم ليسـوا وحدَهـم .. وأنّ لهـم أمّـةً تَقِفُ إلى جانبِهـم .. وضمائرَ حرّةً تَلْتَفُّ حـوْلَ قضيّتِهـم العادلـة .. كـي لا ينالَهـم شـعورُ الخُـذلانِ المريـر .. فالوقـوفُ إلى جانـبِ فلسـطينَ وشـعبِها .. ومسـاندةُ غـزّةَ الجريحـةَ وأهلَهـا .. هـو مـن أعظـمِ الواجباتِ في ظـلالِ حـربِ الإبـادة الوحشية ومـا بعدهـا ..

يـا أهْـلَ غـزة .. يـا شـعبَ فلسـطين .. لا تَهِنـوا ولا تحزنـوا وأنتـم الأعلـون بإيمانكـم ..

يـا أهـل غـزةَ الصابريـن .. بُشراكُم اليومَ مِنَ الله تعـالى .. ألَمْ يَقُل عزّ وجـلّ في كتابِـهِ الكريـم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾؟ سـورة البقرة ١٥٥

يـا أهـلَ غـزّة .. إن يَمْسَسْكُم قـرحٌ فقـد مَسّ القـوْمَ قَـرْحٌ مِثلُـه .. وتلـكَ الأيّـامُ نُداولهـا بـين النـاس .. ولِيَعْلَـمَ اللهُ الذيـن آمنـوا ويتّخِـذَ منكـم شـهداء ..

يـا أهْـلَ غـزّة .. نسـألُ الله تعـالى أن يتقبّـل تضحياتِكِـمُ العزيـزة .. وأنْ يَرْبِـطَ عـلى قلوبِكُـم .. وأن يُؤتِيَكـم ثـوابَ الدُّنيـا وحُسْـنَ ثـوابِ الآخِـرَة ..

اللهـم رُدّ كيْـدَ المعتديـن .. وارْبِـط عـلى قلـوبِ المكلومـين .. اللهـم ارحـم شـهداءهـم واشـفِ جرحاهـم واجـبُر كَسْرَهـم ..

اللهـم نسـألك صـلاةً جامعـةً في المسـجد الأقـصى المبـارك .. وقـد رُفِـع الكـرب عـن القـدس وانجلـت الغُمّـة عـن فلسـطين .. ولا تحسـبنّ الله غافـلاً عـمّا يعمـل الظالمـون ..

قال تعالى..

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾

سورة الإسراء ٧٠.

الموضوع الثالث عشر

مساسٌ فظيعٌ بكرامة الإنسان

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

فقد قال تعالى في مُحْكَم التنزيل .. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ سورة الإسراء ٧٠.

إنّه تكريمٌ صريحٌ مِنَ الخالقِ تباركَ وتعالى للبشر .. تكريمٌ للإنسان .. حصانةٌ لِحَقِّهِ في الحياة .. وعِصْمَةٌ لِدَمِهِ ورُوحِه .. وتقديرٌ لمكانَتِهِ وكرامَتِه ..

نَقِفُ مع هذا المعنى العظيم .. وقد شَهِدنا كيف يُسحَقُ الإنسانُ في غزّةَ وتُهْدَرُ كرامَتُه .. بآلةِ القتلِ والفتكِ والتدمير .. التي عَمِلَت على مدارِ الساعةِ دون رادعٍ مِن قانونٍ أو ضمير ..

كان هذا هو ما حرّك قضاةً من أقصى الأرض .. من جنوب أفريقيا .. حملوا نداءَ الضمير .. وصيْحةَ العدالة .. وتوجّهوا بها إلى محكمة العدل الدولية .. لعلّ العالمُ يتحرّكُ لِوَقْفِ المقتلةِ الرهيبة .. وكَبْحِ الإبادةِ الفظيعة .. بعد أن تقاعَست هيئاتُ عالمنا عن وقف هذه البشاعةِ المرعبة ..

إنّ ما جرى في غزّةَ .. دخَلَ تاريخَ البشَرِ بلا رَيْب .. دخَلَهُ في هيئةِ مذبحةٍ مرئيةٍ لعيونِ العالمِ ومَسموعةٍ لآذانِه .. مذبحةٍ اقتُرِفَت بحضورِ البثِّ المباشر .. شُوهِدَت فظائعُها لحظةً بلحظة .. هي المذبحةُ التي غُلِّفَت بالمزاعمِ المُضلِّلة .. التي أحالَت الضحيةَ إلى جانٍ والجاني إلى ضحية .. وجعلَت الأطفالَ والنساءَ والشيوخَ والمرضى في غزّةَ أهدافاً مشروعة للعدوان .. بحبكةٍ من المُراوَغةِ والتضليل .. وجَعَلَت المستشفياتِ والعياداتِ والمدارسَ والمساجدَ والكنائسَ والأديرةَ .. جعلَتْها جميعاً أهدافاً مُستساغةً للقصفِ والقتْلِ والتدمير ..

وقد رأينا الكثيرَ الكثيرَ ممّا تنتفضُ لِهَوْلِه الأبدان .. ويرتعدِ مِن وطأتِهِ الوجدان .. ومِمّا رأينا مثلاً: .. أمٌّ ترفَعُ الرايةَ البيضاء

.. ومعها طفلُها الذي يرفَعُ الرايةَ البيضاءَ أيضاً .. رأيناهُما يسيران على طريقٍ مكشوفةٍ مخصّصةٍ للنازحين في قطاعِ غزّة .. بحثاً عن مأوى يحتميان به .. وإذ بقنّاصةِ جيشِ الاحتلالِ يتصيّدونَ الأمَّ بِدَمٍ بارد .. فتكوا بها بإطلاقِ النار عليها في تَسديدةٍ آثمة .. فَعَلَها الجيشُ المجرم .. وطفلُها ذاهلٌ بين يديْها ..

رفعت الأمُّ الرايةَ البيضاء .. ورفع الطفلُ رايةً مثلَها .. ليقولَ لأولئكم القتلةِ المجرمين: لا تقتلوني وأمِّي! .. لكنّهم أجهَزوا على الأمّ .. أجهزوا على الإنسانية .. أجهزوا على كرامةِ الإنسان .. وانتهكوا عِصْمَةَ الدِّماءِ والأرواح ..

هوى بدنُ الأمِّ على الثرى المُخضّبِ بدمائِها الزكية .. وبَقِيَ الطفلُ ذاهِلاً حَوْل جثمانِها .. وقد أدركَ أنّه ضحيةُ عالمٍ سَمَح بهذِهِ الفظاعةِ .. سمَح لها بأنْ تقَع .. وسمحَ لها بأنْ تستمرّ .. وسمَحَ لها بأنْ تُبرَّر ..

إنّ مَن يرى هذا المشهد الرهيبَ وما يُماثِلُه .. يُدركُ أنّه نقطةٌ في بحرِ ما اقتُرِفَ ساعةً بساعة .. لحظةً بلحظة .. اقتُرِفَ مِثْلُه وزيادة .. هنالكم في فلسطين .. هنالكم في قطاعِ غزة ..

ومعظَمُه جرى دون أنْ تَحْمِلَه إليْنا الصُّوَرُ والمقاطِعُ المرئية .. فما عَلِمْناهُ أنّ آلافاً مِن النِّساءِ والأطفالِ والشيوخِ والمرضى .. هوَت السقوفُ والجدرانُ على رؤوسِهم وأبدانِهم .. وظلّ بعضهم ساعاتٍ أو أيّاماً على هذه الحال دون أن يتمكّنَ أحدٌ من الوصولِ إليهم وانتشالِهم .. وبيْن هؤلاءِ أطفالٌ كُثُرٌ مع أمّهاتهم .. ولنا أن نتخيّل طفلاً يَرْقُبُ أنفاسَ أُمِّهِ الأخيرة .. وهو عالقٌ معها بين الأنقاض ..

لِنَذْكُرَ هذا ونحن نرى مشاهدَ أولئِكُم الأبرياءِ من الصِّغار .. الذين يُحتفَى بإخراجِهم أحياءً مِن تحتِ الركام .. فقد رأوا أهوالاً لا يحتملها الراشدون .. وأخذوا يَعُدُّون أنفاسَهم عدّاً .. فمنهم من أُخرِج إلى الحياةِ من جديد .. وكثيرٌ منهم أُخرِجَت أبدانُهم أو أشلاءٌ منها .. دون رَمَقِ حياة .. أو بَقِيَت حتى تحلّلت حيثُ هي دون سبيلٍ لانتشالها ..

إنّ هذه الوقائعَ والمشاهدَ .. هي ما حَرّكَ القضاةَ مِن أقصى الأرض .. من جنوبِ أفريقيا .. وتوجّهوا إلى محكمة العدل الدولية .. في التماسٍ أخيرٍ إلى عالمنا .. اختبروا فيه قيَمَهُ

ومواثيقه .. وفحَصوا حِسَّهُ وضميره ..
وهذه المشاهد .. هي ما حرّك سيولَ البشر في ميادينِ الأرض .. الذين صاحوا ولا يزالون صائحين: أنْ كفى! .. كفى لهذهِ الفظائع! ..

وقد وجب القولُ .. إنّ من يَقترفُ هذه الفظائعَ .. ويدعمُها ويُبرِّرُها ويلتمسُ لها الأعذار .. هم شركاء في امتهانِ كرامةِ الإنسان .. وقد قال تعالى في مُحكَمِ التنزيل ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾
إنّ مَنْ ارتَضَوا حدوثَ هذا وترافعوا في تبريرِه وتسويغِه أو التهوينِ من أمرِه .. ورفضوا تسميةَ الأشياءِ بأسمائِها ووَصفَ الواقعِ كما هو .. إنّما أسقَطُوا قيَمَ الإنسانية ومواثيقَها وداسوا قانونَها ومزّقوا دستورَها وأطاحوا بشعاراتِها ..

إنّ صيْحَةَ الضمائرِ الحيّة .. مِن رُوّادُ حَقٍّ وعدلٍ وقانونٍ من أمم الأرض .. ومعَهُم كلُّ من كتبَ وقالَ وترافعَ وتظاهرَ لأجلِ الحقوقِ والعدالة .. هذه الصيحةُ هي إشارةُ حياةٍ في عالمنا .. وعلامةُ ضميرٍ يَقِظٍ وحِسٍّ واعٍ .. وقد جرّبت جنوبُ أفريقيا

تحديداً ألواناً من الظُلم والعدوانِ والطغيانِ والعنصريةِ من قبل .. فلا عَجَب أن يكونَ الوازِعُ لديْها حيّاً ومُحَرِّكاً على هذا التحرّكِ المبدئيِّ المشرِّف ..

هي حربُ فظائعَ وحربُ إبادة .. وفيها جِبالٌ من المظالم .. التي ستُعلَّقُ برقابِ الجُناةِ وداعميهم يومَ العرضِ على الله .. فما يَضيعُ عندَ الناسِ لا يضيعُ عندَ الله .. وهُمْ إنْ أفلتوا من عدالةِ الأرض فلن يُفتلوا من عدالةِ الآخرة ..

وفي الحديثِ القدسيِّ الذي رواهُ الطبرانيُّ .. عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رَبُّكَ تبارك وتعالى: وعِزّتي وجلالي لأنْتَقِمَنّ من الظالمِ في عاجلِهِ وآجله، ولأنتقمَنَ ممن رأى مظلوماً فقدَرَ أن يَنْصُرَهُ، فلَمْ يفعَل).

إنّ من واجبِنا وواجبِ كلِّ صاحبِ ضمير .. أن نُسانِدَ أهلَ غزةَ في هذهِ المظلمة .. وأن نسعى في التخفيف عن شعبِ فلسطينَ بكلِّ ما يمكن تقديمُه له .. وأن نرفعَ أصواتَنا لدعم الحقّ والعدلِ وفي مواجهة الظُّلمِ والعدوان .. وأنْ يُدرِكَ هذا الشعبُ المكلومُ أنّه ليس وحدَه .. وأنّ له أمّةً تَقِفُ إلى جانبه

.. وأنّ ثَمّـةَ ضمائـرَ حـرّةً تلتـفُّ حـول قضيّتـه .. كـي لا ينـالَ منـه شـعورُ الخُـذلانِ المريـر .. فالوقـوفُ إلى جانـبِ فلسـطينَ وشـعبِها .. ومسـاندةُ غـزّةَ الجريحـةَ وأهلَهـا .. هـو مِـن أعظـم الواجبـات علينـا جميعـاً ..

قال تعالى..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

سورة الجمعة ٩

الموضوع الرابع عشر

إبادة المساجد والعلماء والأئمّة والحُفّاظ

فقد قالَ تعالى في مُحكَم التنزيل .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة الجمعة ٩

فقد رُفِع الأذانُ في مسجدِنا .. وارتقيْتُ مِنْبَرَه .. وهممتُ بإلقاءِ الخُطبةِ .. وأَجِدُ المصاحِفَ الشريفةَ مُتاحةً للمصلِّين .. الذين يجتمعونَ اليوْمَ في صلاةِ الجمعةِ في أمانٍ واطمئنان .. سائلاً اللهَ تعالى أن يتقبّلَها منّا جميعاً ..

إنّ هذا المشهدَ الوَقور .. الذي يَنْتَظِرُهُ الواحِدُ منّا أسبوعاً بعدَ أسبوع .. ما عاد مُتاحاً هنالكم .. في تلكُم البقعةِ من الأرض

.. التي دمّرَ الغزاةُ مساجدَها .. وأطاحوا بمآذنِها .. وفجّروا قِبابَها .. إنها قطاعُ غزّة .. التي حرمها المحتلّونَ من المساجدِ ومن إقامةِ الصلاةِ الجامعة .. طوالَ حربِ الإبادةِ المديدةِ التي استهدفَتْها ..

شنّ جيشُ الإبادةِ حربَه على بيوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُه .. فدمّر مساجدَ قطاعِ غزّةَ عن آخرِها إلاّ قليلا .. واتّخذ من بعضها حصوناً للحَرْبِ والإغارةِ على الأهالي .. وأحال آلافاً مُؤلّفَةً من المصاحِفِ الشريفة إلى أوراقٍ ممزّقةٍ محترقة .. بين الأنقاض والأشلاء .. ولا حوْلَ ولا قوّةَ إلاّ بالله!.

ومِن شواهِدِ الحربِ الشعواءِ على المساجدِ والمصاحِفِ .. أنْ يُقتَلَ إخوانُنا العلماءُ والأئمةُ والخُطباءُ والمؤذّنون ومحفّظو القرآنِ الكريم .. ومنهم قاماتٌ معروفة في مَراتِبِ العِلْمِ والفَضْلِ والعَمَل .. قُصِفوا وأبيدت أُسَرُهُم معهُم عن آخِرِها .. وإنْ سألتَ في غزةَ اليومَ عن إمامِ مسجدٍ أو خطيبِ منبر .. قد يجيبونَكَ بأنّه ارتقى مَع مَن ارتقَوْا .. وتقدّمَ المصلّين في قافلةِ التضحيات .. التي شاهدناها جميعاً يوماً بيوم وساعةً

بساعة .. عبر البثّ المباشر.

ثمّ إنّ هذه الحربَ التي أحرَقَت المصاحفَ ومزّقَتْها .. لم تتوانَ عن إبادةِ حُفّاظِ كتابِ الله تعالى وإيقاعِ القتْلِ والإصابةِ بهم .. فهي غزّةُ .. أرضُ الحفّاظ .. الذين يحملون كتابَ الله تعالى في صدورهم وقلوبهم ..

لم يُرفَع الأذانُ في أرجاءٍ واسعةٍ من قطاع غزة .. طوال حرب الإبادة .. فلا مآذنُ ولا قِبابٌ ولا منابِر.. أبقاها أولئكم المعتدون على البشرِ والحجرِ والشجر .. على أنّهم إذ فعلوا فَعْلَتهم الشنعاءَ هذِهِ .. عجزوا عن المساسِ بإيمانِ القوْمِ الصابرينَ المحتسبين .. ولم ينجَحوا في تقويضِ مكانةِ المسجدِ ودوْرِهِ في مجتمعِهم .. فقد تتهاوى جدرانُ المساجدِ حقّاً .. دون أن تتقوّض رسالتُها في الواقع .. فهي رسالةٌ حَيّةٌ مُتحرِّكةٌ بين الناس .. نجدُها في صَبْرِ المكلومين .. وفي احتسابِ المفجوعين .. وفي ثباتِ الصامدين .. وفي عِزّةِ المؤمنين .. وفي إيمانٍ تُرى أماراتُه ويقينٍ تُبصَر علاماتُه ..

أُطيَح بالمآذنِ بقصفٍ همجيّ .. وبَقِيَتْ أطيافُها مناراتٍ شامخةً

في وجدانِ المصلِّين أو مَن تبقّى منهم في دُنيا الناس .. بقيَت شامخةً في الوَعي .. بانتظار أن تُبتَنَى من جديد .. أن تنهضَ من جديد .. أن تعلُوَ من جديد ..

إنّ ما جرى في غزّةَ .. من تدميرٍ وإبادة .. بحقِّ المساجدِ والمصاحفِ والأئمّةِ والخطباءِ والمؤذِّنين وحفظةِ كتابِ الله تعالى .. هو مَسْلَكُ العدوانِ والحقدِ ذاتُهُ الذي دأَبَ عليه جيشُ الغزاة .. في جولاتِ عدوانِه التي أعقبَ بعضُها بعضا .. منذ أن دمّرت عصاباتُهُ الأولى مساجدَ فلسطينَ في المدنِ والقرى والبلدات .. خلال نكبةِ ثمانيةٍ وأربعين وتسعمائةٍ وألف (١٩٤٨) .. واقتَرَفَت في بعضها المجازرَ الجماعية .. ثمّ أحالَت عدداً من المساجدِ إلى متاحفَ وخمّاراتٍ وأوكارٍ للمُنكَر .. وإلى اسطبلاتٍ وغير ذلكم. إنّه المسلكُ الذي شهدناهُ جميعاً خلال حرب الإبادة .. مع الجامعِ العُمَريِّ الكبيرِ في غزّة .. وهو أعرقُ مساجدِ القطاعِ وأكبرُها .. وهو مَعلَمُ غزّةَ التاريخيُّ أيضاً .. صار الجامعُ الكبيرُ أطلالاً وأنقاضاً .. في عدوانٍ على الدِّين وعلى التراثِ وعلى التاريخِ وعلى الحضارة ..

ومما انفطرَ لهُ الفؤاد .. عَجْزُ الناسِ عن انتشالِ المصلِّين من تحت الأنقاضِ بعدَ قصفِ المساجد .. فبقيَ الركّعُ السجودُ عالقينَ تحت الرُّكام .. شاهدينَ في موقِفِهم هذا على بشاعةِ العدوان وجرائمِ حربه ..

إنّ العدوانَ على المسجدِ يبتغي في حقيقته تدميرَ المجتمعِ من الداخل .. وحرمانَه مصادِرَ نمائِه .. وإفقادَه منابَعَ قُوَّتِه .. عطفاً على تدميرِ المدارسِ والمعاهدِ والجامعاتِ .. لكنّها حيلةُ العاجزينَ الذين يحسبون أنّ القصفَ والهدمَ يُقوِّض إيمانَ المؤمنين وصبرَ الصابرين وعزيمةَ المُقْدِمين .. فالمساجدُ بِنَاسِها .. بمن يسبِّحون فيها لله تعالى بالغُدُوِّ والآصال .. قال عزّ وجل : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ سورة النور ٣٦

ومِن عادةِ غزّةَ بعد كُلِّ جولةٍ من جولاتِ العدوانِ التي تعاقبت عليها .. أن تُسارِعَ إلى تشييدِ مساجدِها المدمّرة .. فترتفع بمآذنِها فوْقَ ما كانت عليه .. ويحصُل في فضاءاتِها الطاهرة .. اجتماعُ الناسِ من جديد .. لإقامةِ الصلاة .. ومُدارسةِ العلم ..

وحفظِ القرآنِ الكريم .. وتَنْشِئةِ الأجيال .. وفي هذا ما يؤكِّدُ انتصارَ الإنسانِ المؤمنِ على المعتدي الذي يَنتهكُ حُرماتِ الله تعالى .. وفي هذا ما يُظهِرُ أنّ المساجدَ قد تُدمَّرُ لكنّ مكانتَها لاَ تزدادُ بهذا إلاّ رسوخاً في الأفئدةِ والعقول ..

هذا عهدُنا بغزّةَ وأهلِها .. ولن نتوانى جميعاً بإذن الله .. عن أن نكونَ من أوائلِ المبادرينَ في تعميرِ مساجدِها عن قريبٍ بإذن الله .. كي يُرفَعَ الأذانُ من جديد .. وتُقامَ الصلواتُ الجامعة .. وتجتمعَ الأجيالُ على ذكرِ الله ..

وسيعلُمَ الذين ظلموا أيّ مُنقَلَبٍ ينقلبون .. وستُعلّق هذه الأوزارُ برقابِ الجُناةِ وداعميهم يومَ العرضِ على الله .. فما يضيعُ عند الناسِ لا يضيعُ عندَ الله .. وهم إنْ أفلتوا من عدالةِ الأرض فلن يُفلِتوا من عدالةِ الآخرة ..

قال صلى الله عليه وسلم

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سربِهِ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»

أخرجه الترمذيّ

الموضوع الخامس عشر

دروسٌ في تقديرِ النِّعم

يصحو أحدُنا فَجراً لأداءِ الصلاة .. يقوم من سريره الدافئ حامداً الله تعالى الذي أحيانا بعدَ ما أماتنا .. يتحرّكُ في حُجراتِ البيْت .. يتحرّكُ آمِناً تحتَ سَقْفِهِ وبيْنَ جُدرانِه .. يَهُمّ بالوضوءِ بماءٍ طاهر .. وقد يرتَشِفُ الماءَ العَذْبَ الزُّلال .. يصلّي ويتناوَلُ لُقْمةً مِنْ طعامٍ أو جُرْعَةً مِن شراب .. وقد يُلْحِقُ هذا بما قرّرُه لهُ الطبيب من دواءٍ يتيسّرُ الحصولُ عليه ..

ويُباشِرُ تَفَقُّدَ هاتِفِه .. والاطمئنانَ على ذويهِ وأحبّائِه .. ومتابعةَ شواغلِهِ واتصالاتِه .. ثمّ يتحرّكُ في مسالكِ المدينةِ آمِناً مطمئناً .. ماشياً على ساقيْن .. أو راكِباً في وسيلةِ نقْلٍ من أيِّ نوعٍ

تيسّر .. لِيَبْلُغَ وجهَتَه في الحياةِ اليوميةِ ذهاباً وإيابا ..
هذا ما عليه الناسُ في معظمهم .. وقد لا تجدُ أكثرَهُم يَحْمَدُ اللهَ تعالى على هذِهِ النِّعَمِ العظيمةِ التي لا حَصْرَ لها .. أو يَشْكُرُ المُنعِمَ الكريمَ على ما أتاهُ مِن فَضْلِه .. لا يُكْتَرَثُ بها لأنّها نِعَمٌ سابغةٌ مألوفة .. اعتادَها الواحدُ مِنّا وأَلِفَها ..
إنّ البيْتَ الذي تَأْوي إليْه .. والسقْفَ الذي تَستَظِلُّ بِه .. والجدارَ الذي تَسْتَنِدُ إليه .. والنافذةَ التي تُطِلُّ منها .. والدفءَ الذي تَلْتَحِفُ به .. هي نِعَمٌ عظيمةٌ لا يُدرِكُ قيمتَها كثيرٌ من الناسِ كما ينبغي .. لأنّها عندَهُم معهودةٌ مألوفة ..

إنّ الماءَ الذي تَجِدُه حينَ تَطْلُبَه .. وتَسْتَعْمِلُه كما ترغب .. وتَجْعَلُه يتسلّلُ إلى جوْفِك عَذباً زُلالاً ليروَيَ عطَشَكَ دون عناءٍ منك .. لَهُوَ مِن أعظَمِ النِّعَم .. وقد جَعَلَ اللهُ تعالى مِنْهُ كلَّ شَيءٍ حَيّ .. ويسّرَهُ لنا للطهارةِ والنظافةِ وسائرِ الاستعمالات .. وقد يُهْدَر في غيرِ الوجوهِ النافعةِ بلا ترشيد ..

ومِنَ النِّعَمِ لُقمَةُ الغِذاءِ التي تتخيَّرَها لِسَدِّ جَوْعَتِك .. وإشباعِ شهيّتِك .. وترميمِ بَدَنِك .. ولو أنّك دقّقْتَ النظَرَ في كِسْرَةِ

الخُبْزِ المَهمَلةِ على مائدةِ طعامِكَ لأدركتَ ما لا يَلْحَظُهُ كثيرٌ من الناس .. فهذه الكِسْرةُ نِعمةٌ عظيمةٌ من نِعَم الله تعالى .. هي نِعمَةٌ سُخِّرَتْ في سبيلِ إنتاجِها لِتَصِلَ لِكُلِّ واحدٍ مِنّا؛ دورةُ إنتاجٍ ممتدّة .. مِن تهيئةِ الأرض .. وبَذْرِ الحَبِّ فيها .. وتَعَهُّدِها بالعنايةِ والسِّقاية .. فتُستَنْبَت بأمرِ الله عندما يحينُ حصادُها وتجهيزُها .. ثم يَقَعُ نَقْلُها وتوريدُها .. ثمّ تخزينُها في الصوامِعِ وطحْنُها .. ثمّ يُصْنَعُ منها الخبزُ الذي يَصِلُنا جاهزاً .. وقد لا يُكْتَرَثُ بِدَوْرَةِ إنتاجِهِ التي هي نِعمَةٌ مُركّبة .. لا يُكْتَرَثُ بهذهِ النعمةِ وسواها من الطعامِ والشراب .. لأنها معهودةٌ مألوفة!

ثمّ يأتي بعضُهم ويُسْرِف في هَدْرِ الخُبزِ والطعام .. لأنّهم لا يُقَدِّرون النِّعمَة ولا يحفظونها ولا يشكرونَ اللهَ عليها!.

لقد أكرَمَنا اللهُ تعالى بهذِهِ النِّعَمِ وبكثيرٍ سواها .. ممّا لا يسَعُنا حَصْرُه وتعدادُه .. ولو قضيْنا الساعاتِ الطوالِ في سَرْدِها .. أو أفرَغْنا المَحابِرَ في شَرحِها .. أو سَطّرْنا الكُتُبَ في بيانها ..

فالحمدُ لله على نِعَمِه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى .. الحمد لله على

كَرَمِهِ وفضْلِهِ وعطائِهِ .. ما عَلِمْنا منْه وما لم نعلَم .. الحمدُ لله على قُلوبٍ تَخْفقُ في أجوافِنا بانتظام باهِرٍ منذ أن كُنّاً أَجِنّةً في بطونِ أمّهاتِنا .. وعلى أنفاسٍ تتدفّقُ عبرَ صُدورِنا منذ أن أطلَقْنَا صيْحتَنا الأولى في هذا العالم .. وعلى أبدانٍ وأطرافٍ تنتظمُ في حركتها .. وإنْ تعطّلَ بعضُها فإنها ترشِدُنا إلى عَمَلِ ما تبقى من سائِرِ الجسد .. يا لها من نِعَمٍ عظيمة .. وفي أنفُسِكم أفلا تُبصِرون .. يا لها من نِعمٍ عظيمةٍ .. وإن تَعُدُّوا نِعمةَ الله لا تُحصوها ..

لقد أسبَغَ اللهُ علينا نِعَمَهُ ظاهرةً وباطِنة .. لكنْ مِنْ عادةِ البشرِ أن يزهدوا بالنِّعَمِ إنْ اعتادوها وأَلِفوها .. دون أن يَلحَظوا ما هُم عليه من النِّعَم السابغة .. وقد تَجِدُ أحدَهُم وقد انتابَه هَمٌّ وغَمّ .. أو استولى عليه قُنوطٌ وجَزَع .. وهو يَرفُلُ في أثوابِ النِّعمة .. أو تجدُهُ يُكثِر الشكوى .. وهو في نِعمَةٍ وعافيةٍ وسِترٍ .. أو تجدُه عابساً متذمِّراً .. لأنّه لا يملكُ المزيدَ والمزيدَ من حُطامِ الدُّنيا الفانية .. إنّ هؤلاء وهؤلاء اعتادوا النِّعمة .. وألِفوها .. واستهانوا بها .. ولم يُقَدِّروها حَقَّ قَدْرِها .. ولم يَشْكُروا اللهَ تعالى عليها حَقَّ الشكر .. وقد يتلُو أحدُهم في فاتحةِ الكتابِ

من كُلِّ ركعةِ صلاةٍ: «الحمدُ لله ربِّ العالمين» .. دون أن يَعيشَ المعنى أو يَفْقَهَه كما ينبغي .. وَقد يقول بعد الركوع: «ربَّنا ولكَ الحمد» .. فيبقى الحمدُ باللِّسانِ دونَ حضورِ الوجدان!

وقد جاءَ التذكيرُ بالنِّعَم في مواضِعَ وفيرةٍ من كتاب الله تعالى .. ومنها آيةُ المائدة وآيةُ الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ..﴾

ومِن أعظَمِ الدروسِ في اكتشافِ النِّعَمِ التي تَغْمُرُنا .. أنْ نتأمَلَ جميعاً ما جرى في فلسطين .. أن نُدَقِّق ما وَقَعُ على أخوَتِنا في قطاعِ غزّة .. طوال حربِ إبادةٍ مديدةٍ رهيبة .. لنكتشف من واقع المحنةِ الجسيمةِ التي اكتَنَفَتْهُم .. والمأساةِ العظيمةِ التي أُنْزِلَت بهم ظُلماً وعُدوانا .. والمعاناةِ الفظيعةِ التي أُوقِعَت عليهم جَوْراً وطُغيانا .. لنكتشفَ كَمْ يَستهينُ كثيرٌ من النّاسِ مِن حَوْلِنا بالنِّعَم .. وكم يَغفلُ بعضُنا عن مَألوفِها ومَعهودِها .

إنّها غزّةُ إذ جادَتْ علينا وعلى مجتمعاتِ الأرض بِدُروسٍ وعِظات .. تأمّلْناها أسبوعاً بعد أسبوع .. وقد أبصرنا شعباً

كريماً أبيّاً عزيزاً عفيفاً صابِراً محتسباً .. أوقَع عليه العدوانُ هذهِ المظلمةَ .. فحُرِمَ الكبارُ والصغار .. البيْتَ الذي إليه يَأْوُون .. والسقْفَ الذي به يَستَظِلُّون .. والجدارَ الذي إليْه يَستَنِدون .. والفِراشَ الذي به يلتحفون عند الرُّقاد .. حُرموا شَرْبةَ الماء .. ولُقمَةَ الغذاء .. وجُرعَةَ الدواء .. حُرموا وسيلةَ النقل .. وإن كانت لإسعافِهم .. أو حَمْلِ جرحاهم .. حُرِموا أدواتِ انتشالِ العالقينَ من تحتِ أنقاضِ القصفِ الوحشيّ .. حُرِموا اتصالاتٍ يسيرةً عبر الهواتف .. حُرموا شبكةَ الإنترنت التي لا تنهضُ حياةُ العصرِ بدونها .. وقد يجتمعُ النّاسُ في نُقطةٍ مُعيّنةٍ على أملِ التقاطِ شارةِ الاتصالاتِ والإنترنت للتواصُلِ مع أهلِهم وذويهم .. فتتصيّدُهم قذائفُ العدوانِ الهمجيّ .. كما جرى ويجري على مدارِ حربِ الإبادة الوحشية ..

تمنَحُنا غزّةُ دروساً لا تنقضي .. ومن دروسِها أنْ تحفِّزَنا على تقديرِ النعمة .. وأن تُذَكِّرَنا بحمْدِ الله تعالى عليها آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار .. حمداً بلسانِ الحالَ .. وحمداً بلسانِ المقال .. فالحمدُ لله حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً كما ينبغي لجلالِ وجهِهِ

وعظيمِ سُلطانه .. وكيفَ لا نُقَدِّرُ النِّعمة .. وقلوبُنا مكلومةٌ لما قاسَوْهُ من جوعٍ وعَطَشٍ ومَرضٍ ووباء .. وكيف لا نُقدِّرُ الأمنَ والأمان .. وهم لم يجدوا مأوًى آمِناً من القصفِ والتهديد .. وكيف لا نُقَدِّر ما نحنُ عليه من حَركةٍ وتنقُّلٍ في حياتِنا اليومية .. وقد شاهدناهُم بقلوبٍ يَعتَصِرُها الألمُ يُقصَفونَ ويُقنَصونَ في كُلِّ دَرْب .. نساءٌ وأطفالٌ ومرضى وشيوخ .. فُتِكَ بهم .. وإنْ رَفَعوا رايةً بيضاءَ على الطريق .. وإنْ احتمَوْا بالمستشفياتِ ومرافقِ الأممِ المتحدة ..

وقد بيّن رسولُنا صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه .. قاعِدةً أساسيةً في تقديرِ النِّعمة .. بقوله: (مَن أصبحَ منكُم آمِنًا في سربِهِ، مُعافًى في جسدِهِ عندَهُ قوتُ يومِهِ، فَكَأَنَّما حِيزت لَهُ الدُّنيا) - أخرجه الترمذيّ.

ومِن حَقِّ أهلِ غزّةَ علينا .. أن نَقِفَ معهم في هذا البلاءِ العظيم .. في هذه المأساةِ الرهيبة .. في هذهِ الإبادةِ الوحشية .. وكيفَ لنا أن نهنأ بطعامٍ أو شرابٍ أو رُقادٍ أو شيء من زينةِ الدنيا .. وقد عِشْنا محنتَهُم ومأساتَهُم ومظلمتَهُم .. عشنا ما صُبّ على

الأطفالِ والنِّساءِ والشيوخِ والمرضى وعمومِ النّاسِ في غزّةَ مِن ألوانِ الأذى والفتْكِ والبَطَشِ التي تنتفضُ لها الأبدان .. مِن القتْلِ الجماعيِّ الذي تواصَلَ بلا هوادة .. وتعاظمَ بلا رادِع ..

عـن النعـمانِ بـن بشـير، رضي الله عنهـما، قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادُّهِم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمّى»

متفقٌ عليه.

الموضوع السادس عشر

الجسد الواحد في زمن الإبادة

عن النعمانِ بن بشير، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادُّهِم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمّى» – متفقٌ عليه.

إذا اشتكى منه عضو .. تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى .. وممّا يُستفاد من الحديث الشريف .. أنّ ما يمسّ المؤمنين من كَربٍ .. حقيقٌ به أن يشغل المؤمنين والمؤمنات عموماً .. المسلمين والمسلمات عموماً .. أينما كانوا .. وأن تنشغلَ الأمّةُ المسلمةُ في كلِّ مكان بذلك .. وأنْ تهتمَّ به ..

فكيف إنْ بلغَ الخَطْبُ مَبْلَغَه .. والكربُ ذُرْوَتَه .. كما جرى في فلسطين المحتلة من عدوان وحشي .. كما جرى في قطاع غزة ..

فالفظائع مرئيّةٌ لنا جميعاً .. تنتفضُ من هوْلها الأبدان .. ويفزعُ من وطأتِها الوجدان ..

لم تقتصر وحشيّةُ هذا العدوانِ .. على التقتيلِ والتدمير .. ولا تتضّحُ بمؤشِّراتِ الضحايا والدمار وحدها .. وهي مؤشِّراتٌ رهيبةٌ مُرعِبة .. عَزّ نظيرُها في هذا العصر .. فما مُورِس بحقِّ هذا الشعبِ المًصابِر في غزّة .. هو في حقيقتِهِ حربٌ مركّبة .. حربُ تقتيل .. حربُ تدمير .. حربُ تشريد .. حربُ تهجير .. حربُ تجويع .. حربُ تعطيش .. حربُ أمراضٍ وأوبئة تُحاصِر الأهالي .. حربٌ على الإنسانِ في وجودِهِ وبقائِه .. حربٌ على الإنسانِ في حياته وسلامته .. حربٌ على الإنسانِ في صحّته وعافيته .. حربٌ على الإنسان في إرادته ومعنويّاته .. وهذه كلُّها من عناوينِ الإبادةِ الجارية .. بكلِّ ما فيها من وحشيةٍ وهمجيةٍ وفظاعة ..

إنّ مَن يتأمّل حالَ أطفالِ غزّة .. يُدرِكُ هذه المأساةَ التي افتعلها العدوان .. يستشعرُ هذه الفظاعةَ التي اصطنعها الطغيان .. فما من طِفلٍ في قطاعِ غزّة .. إلاّ وأدركَ أشلاءً مِن ذويه .. إلاّ وشاهد قصفاً تعقّبه .. وناراً ترصّدته .. وتهديداً حاقَ به ..

وموتاً أحاطَ به .. وجوعاً نَهَشَ جسَدَه .. وبرداً تخلّل بدَنَه ..

عايشَ أطفالُ غزّة من الفظائع ما لا يحتمله الراشدون .. وبهم جُرِّبت آلةُ القتلِ وذخائرُ الفتك .. التي شُحِنَت إلى قواعدِ الاحتلالِ الغاشِمِ من دولٍ تتباهى بالإنسانيةِ والحقوقِ والحريّاتِ والكرامةِ البشرية .. شُحِنَت أدواتُ القتلِ الجماعيِّ .. ليُمْطَرَ بها الصِّغارُ والكبارُ والمرضى شهراً بعد شهر .. أُمطِروا بها ليلاً ونهارا .. فهُدِرت بها كرامةُ الإنسان .. وقُوِّض بها حقُّهُ في الحياةِ والبقاء ..

لم يَجِدُ أطفالُ غزّةَ كِسرةَ خبز تسدُّ جوْعتَهم .. لم يجدوا لقمةَ غِذاءٍ يسيرة .. لم يجدوا شَرْبَةَ لبَن .. أو بيضةً للتناوُل .. لا شيء .. حتّى أنّهم لم يجدوا بقايا عَلَفِ الحيوانات – أجلّكم الله – بعد أن نفد أيضاً ..

إنّها حربُ تجويعٍ وحشية.. شُنّت على هؤلاءِ الصِّغارِ وذويهم في زمنِ الاعتدادِ بحمايةِ الطفولة .. في عَصْرِ التباهي بمواثيقِ حماية الطِّفل وضمانِ رفاهِه .. هي حربُ تجويعٍ بالغةُ القسْوة .. حرمَت الرُّضّعَ حِصَصَ الحليب .. وقد وجدنا تلكمُ الأمَّ الغَزِّيةَ المكلومة .. التي قَطَعَ عنها المحتلّون الغزاةُ مَوْرِدَ

الغذاءِ كما بقيّةِ شعبِها المصابر.. فلم تَجِدْ لَبَناً تُقدِّمُهُ لرضيعها .. فعمَدَت إلى عُصارَةِ التمرِ لعلّها تُبقِي في الصغيرِ البريءِ رَمَقَ حياة في عالَمٍ ارتضى تجويعَهُ والفتْكَ به ..

حُقَّ لهذا الرضيعِ الفلسطينيّ .. المحروم من مَوْرِدِ بقائه .. حُقّ له أن يُحاكِمَ عالَمَنا .. وأن يُسائلَ التزامَنا بما تقرَّر في ديننا الحنيف .. عن مدى الانشغالِ بحاله .. والاهتمامِ بِكَرْبِه .. والسّعْيِ في قضيّتِه .. كي تبلغَ الآفاق .. وكي تخترقَ حُجُبَ الصمتِ والتواطؤ والتقاعسِ والخذلان والتضليل ..

حدث هذا وأكثرُ منه .. بعد موسمٍ مديدٍ من الفظائع التي تلاحَقت .. فظائعُ يُنْسي بعضُها بعضاً .. وفي كُلٍّ منها ما يَكفي لإظهارِ عِلَلِ عالمٍ يستمرئ الظُّلمِ .. ويُبيحُ القهْر .. ويتهاوَنُ مع الإبادة ..

كيف لإنسانٍ صاحِبِ قلبٍ وضمير .. أن يَصْرِفَ عينيْه عن هذهِ المأساة .. التي صنعتها سياساتٌ جائرة؟ كيف لإنسانٍ صاحبِ رأيٍ وموْقف .. أن يُلجِم لسانَهُ أو يُعطِّل بيانَه .. وهو يَعلَمُ بما جرى في رُكْنٍ يتوسّطُ عالَمه .. يُسمّى فلسطين .. يُسمّى غزّة؟

وكيفَ لمسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ .. أن يَغْفَلَ عن مغزى قوْلِه عليهِ الصلاةِ والسلَام: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادُّهِم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمّى».

ومَن لم يتحرّك شعورُه وضميرُه بمقتضى إنسانيّتِهِ ومبادئِهِ وقيَمِه .. والتزاماً بدينِه وإيمانِه وعقيدته .. فليَستذكر أطفالاً انتُشِلوا من تحتِ الأنقاض .. فما سيصنَعُ لو كانوا أطفاله – سلّمَهم الله وسلّم أحبّتكم جميعاً – .. وليَستَشْعِرْ أحدُنا الصِّلَةَ الوجدانيةَ بالرضيعِ الذي لم يَجِد ما يُبقيهِ على قيدِ الحياةِ سوى عُصارَةَ التمر .. وبالأطفالِ الذين باتوا جَوْعى .. وأفاقوا على القصفِ المُدوِّي حول بيوتهم وخيامِهم .. أو حُمِلوا جرحى وأشلاءً واحداً تلوَ الآخر دون أن تتوقّف قوافلهم ..

إنّ مِن حَقِّ أهلِ غزّة علينا .. أن نهتمّ بأمرهم .. وننشغلَ بهمِّهم .. أن نَقِفَ معهم في هذا البلاءِ العظيم .. في هذه المأساةِ الرهيبة .. في هذه الإبادةِ الوحشية .. وكيفَ لنا أن نهنأ بطعامٍ أو شرابٍ أو رُقادٍ أو شيءٍ من زينةِ الدنيا .. ونحن نعيشُ محنتَهم ومأساتهم ومظلمتَهم .. نعيشُ ما صُبّ على الأطفالِ

والنساء والشيوخِ والمرضى وعمومِ الناسِ في غزّةَ من ألوانِ الأذى والفتكِ والبطشِ التي تنتفض لها الأبدان .. مِن القتْلِ الجماعيِّ الذي تواصَلَ بلا هوادة .. وتعاظمَ بلا رادِع ..

إنّ من واجبِنا وواجبِ كلّ صاحب ضمير .. أن نُساندَ أهلَ غزةَ في هذه المظلمة .. وأن نسعى في التخفيف عنهم بكل ما يمكن تقديمُه لهم .. وأن نرفعَ أصواتَنا لدعم الحقّ والعدلِ وفي مواجهة الظُّلم والعدوان .. وأن يدركوا أنّهم ليسوا وحدهم .. وأنّ لهم أمّةً تقف إلى جانبهم .. وضمائرَ حرّة تلتفُّ حول قضيّتهم .. كي لا ينالَهم شعورُ الخُذلانِ المرير ..

يا أهْلَ غزّة .. نسألُ الله تعالى أن يتقبّل تضحياتِكِمُ العزيزة .. وأنْ يَرْبِطَ على قلوبِكُم .. وأن يُؤتِيَكم ثوابَ الدُّنيا وحُسْنَ ثوابِ الآخِرَة ..

قال تعالى

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾.

سورة المطففين الآية ١-٦

الموضوع السابع عشر

علّة أخلاقية في سياسات عالمنا

مضت حربُ الإبادة بلا هوادة .. حربٌ وحشيةٌ مَضَت فوقَ الأشلاءِ والأنقاض .. فكشَفَتْ عوراتِ عالمِنا الأخلاقية .. الذي سمحت سياستُه الدوليةُ بكلِّ هذهِ الفظائع ..

ما كان لهذه الوحشيةِ أن تنفلتَ من عِقالها على النحوِ الذي شهدناه .. بدون التهاونِ معها .. والتساهُلِ مع مقدِّماتها .. والتماسِ الأعذارِ لها .. وحشدِ الذرائعِ لفظائعها ..

أفهمَتْنا سياسةُ الانحياز .. أنّ أرواحَ عالمِنا لا تتكافأُ في الواقع .. أنّ دماءَ البشرِ لا تتساوى في التطبيق .. أنّ المواثيقَ والإعلاناتِ الأمميةَ تتعطّلُ عندَ بعض البشر .. أنّ القيَمَ والمبادئَ تُستدعَى انتقائياً .. بما يوافقُ اتجاهاتِ المصالحِ وتحيُّزاتِ السياسة ..

دفعَ شعبُ فلسطين ثمناً باهظاً لهذه العِلّة الأخلاقية .. تكبّدت

غـزّةُ أحمـالاً هائلـةً جـراءَ هـذا التطفيـفِ في السياسـةِ والمواقـف .. فـلا يكـون تطفيـفُ الكيْـلِ والميـزان في البيْـع والـشراءِ وحسـب .. بـل في علاقـات النـاس وسياسـات الأمـم ومعايـير الـدول أيضـاً .. قـال تعـالى في سـورةِ المطففـين: (وَيْـلٌ لِلْمُطَفِّفِـينَ (١) الَّذِيـنَ إِذَا اكْتَالُـوا عَـلَى النَّـاسِ يَسْـتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُـمْ أَوْ وَزَنُوهُـمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُـنُّ أُولَئِـكَ أَنَّهُـمْ مَبْعُوثُـونَ (٤) لِيَـوْمٍ عَظِيـمٍ (٥) يَـوْمَ يَقُـومُ النَّـاسُ لِـرَبِّ الْعَالَمِـينَ (٦)).

إنّهـا حـربُ إبـادةٍ جماعيـة .. حـربُ تطهـيرٍ عرقـي .. حـربُ فظائـعَ رآهـا العـالمُ على مـدار السـاعة .. حـربٌ تواصلـت .. وتواصَلـت مُسـاندتُها بذخـيرةِ القتـل .. ودعـم السياسـة .. ودعايـةِ التضليـل .. كـي تسـتمرَّ الوحشـيةُ التـي تفتِـكُ بالبـشرِ والحجـرِ والشـجر .. جَـرَت هـذه الحـربُ الوحشـية حصيلـةً مُرعِبـةً مـن أخوتنـا وأخواتنـا .. أجهـزت عليهـم بالقتـلِ أو الإصابـةِ أو الإعاقـة .. لاجئـون محشـورون في رقُعـةٍ ضيِّقـةٍ مـن الأرض .. لا مـلاذَ فيهـا مـن حِمَـمِ المـوتِ والدمـار التـي انهمـرت فـوق الـرؤوس .. عـشرات ألـوف الضحايـا .. قتـلاً وإصابـةً وإعاقـة .. في قطـاعِ غزّةَ الـذي ضـمّ مليونـيْن وثلاثمائـة ألـفِ إنسـانٍ فقـط .. ولـو قيـس

هذا على شعبٍ آخر .. لعُدّ الضحايا بالملايين .. بل بعشرات الملايين .. في شهورٍ معدودةٍ وحسب!

إنها حقائقُ مُجرّدة .. تنتفضُ لها الأبدان .. ويجزعُ من هولِها الوجدان .. حقائقُ حرّكت جماهيرَ العالم منذ أيّامها الأولى .. للمطالبةِ بوقفِ المذبحةِ الرهيبة .. وكبْحِ المقتلةِ المروِّعة .. التي كان بالوسع وقفُها بكلمةٍ واحدةٍ يخرجُ بها صانعو القرار الأبرز في عالمنا ..

لكنّ كلّ هذه الأرواحِ البريئةِ التي أُزهِقَت .. لم تستوقِفْ مَن تعطّلت ضمائرُهم .. وهوَت مبادئُهم .. وسقطَت شعاراتُهم .. ولو أنّ غزّةَ كانت من أمّةٍ أخرى .. لهبّوا لنجدتها .. لذرفوا عليْها الدمعَ الذي يَضِنُّون به على أطفالها ونسائِها وشيوخِها الذين سُفِكت دماؤهم ..

كشفت فظائعُ غزّة .. أنّ دولاً تتباهى بالالتزامِ بالديمقراطيةِ والحريّةِ وحقوقِ الإنسانِ وكرامةِ البشر .. قد تنجرفُ إلى مساندةِ مآسٍ مرئية لا يمكن طمسُها .. وإبادةٍ مشهودةٍ لا يمكن سترُها ..

لم تقرع السياسةُ الدوليةُ نواقيسَ الخطر .. عندما خرجَ قادةُ الحربِ بدعاوى الإبادةِ والقتلِ الجماعيِّ على رؤوسِ الأشهاد .. عندما نادى وزيرُهم بقصفِ غزّة بالقنبلةِ النووية .. وعندما حضَّ زملاؤه على الإجهاز على المدنيينَ العُزّل .. بدعوى أنّه ما مدنيِّينَ أبرياءَ في غزّة .. وعندما جاهَرَ أركانُ الاحتلالِ بمرامي التطهيرِ العرقيِّ وتهجير هذا الشعبِ قسراً إلى منافي الأرض .. وعقدوا المؤتمراتِ المشهودةَ لهذا الغرض ..

لم يتوقّفْ إمدادُ جيشِ العدوانِ والإبادةِ من يومها بمزيدٍ من آلةِ القتل والدمار .. التي دمّرت المباني والمنازلِ في هذا القطاع .. وحوّلتْهُ إلى مشهدٍ تتزاحمُ فيه الأنقاض ..

ولو عُدنا إلى الوراءِ سنستذكر كيف عاشَ عالمُنا زلازل كبرى .. أودى بحياة عشراتِ الألوف من الناس وحطّمت مدناً وبلداتٍ .. وقد أشغلتنا هذه المآسي في حينها .. وحرّكت الدولَ لإرسالِ فِرَقِ الإنقاذِ وتقديمِ المساعدات .. ثمّ وجدنا أنّ سياسةَ عالمِنا تورّطتْ في إيقاعِ زلزالٍ رهيب مبرمج .. افتعلَتْهُ بأطنانِ الدمارِ الشاملِ الذي تساقط فوْق قطاعِ غزّة .. ليلاً ونهاراً .. دون أن يُقال: كفى! .. دون أن يُقال: أوقِفوا

هـذا! .. دون أن تتوقّـف مسـاندةُ المحتـلِّ المعتـدي ابتـداءً عـلى هـذا الشـعب .. دون الكـفِّ عـن دعمِـهِ وتشـجيعِه وتبريـرِ فظائعِـه .. والنتيجـةُ أنْ وجَدْنـا هـذه الحصيلـةَ المرعبـة .. التـي قفـزت إلى معـدّلات هائلـة مـن القتـلِ والإصابـةِ والإعاقـة ..

والنتيجـةُ أن دُمِّـرت المستشـفياتُ والعيـاداتُ والمرافـقُ الصحيـة .. وأنْ قُتِـل النـاسُ فيهـا .. وأن قُطِعَـت عنهـا إمـداداتُ الـدواءِ ولـوازمُ العـلاج .. فجُعِلـت غـزّةُ مسـلخاً كبـيراً لتقطيـع البـشَرِ أشـلاءً ممزّقـة .. وإسـقاطِ الإنقـاضِ فـوق رؤوسـهم .. وإحراقِهـم بحمَـمِ اللهـبِ المتفجِّـر ..

سـقطَ عالمُنـا في امتحـانِ غزّة .. سـقط في هـذا الامتحـانِ الأخلاقيّ الجسـيم .. سـقط في هذا الاختبارِ المبدئيِّ المشـهود .. سـقط ساسـةُ أمـم كـبرى .. وسـقطت منابـرُ إعلام .. وسـقطَ رموزُ ثقافـةٍ ورُوّادُ فلسـفة .. عندمـا تواطـؤوا مـع الإبـادةِ الوحشـيةِ بدعـمِ مقدِّماتهـا وتبريـرِ فظائعِهـا .. أو عندمـا تواطـؤوا معهـا بـصَرْفِ النظـرِ عنهـا والسـكوتِ الشـائنِ عـن مـا يجـري ..

وقـد أدرك حاملـو القلـوبِ والعقـول .. وقـد أدركَ أصحـابُ

الضمائرِ اليَقِظَة .. مِن حولِنا وفي كلِّ أرجاءِ العالم .. أنّ ما جرى في غزّةَ يَعنينا جميعاً .. وأنّ فلسطينَ هي قضيّتُنا جميعاً .. وأنّ هذه الفظائعَ تتحدّانا جميعاً .. تتحدّانا في إنسانيّتِنا .. تتحدّانا في مبادئِنا وقيمِنا .. تتحدّانا في مواثيقِنا والتزاماتِنا .. وأنّه لا خير في عالمٍ يرضى باستباحةِ الأرواحِ على هذا النحو الفظيع .. وأنّه لا خيرَ في مَن ارتضى غضّ الطَرْفَ عن المأساةِ المفتعلةِ على مرأى منّا جميعاً ..

ومِن نبيلِ المواقف .. أن خرجَ الناسُ في كلِّ مكان .. كي يجعلوا وقْفَ الإبادةِ أولويّتهم .. ومساندةَ الشعبِ المكلوم غايتَهم .. كي يرفعوا رايةَ الحقِّ والعدل .. كي يرفعوا صوتهم لأجل كرامةِ الإنسان التي تُسحَق .. وقد شاهدنا نماذجَ وفيرةً في هذا .. منها شبابٌ في سنِّ المدرسة والجامعة .. اعتادوا الخروجَ إلى الميادينِ للتحذيرِ من مخاطرِ التغيُّرِ المناخي .. وإذ بهم يخرجون ضدّ الإبادة الجماعية .. ويترافعونَ لأجلِ حقِّ شعبِ فلسطينَ في الحريةِ كغيره من الشعوب .. وقد بيّنوا أنّ سعيَهم لأجل المناخ لن يستقيمَ إنْ صَرَفوا أنظارَهم عن إبادة البشر التي تجري على مرأى من العالم ومسمع ..

وقد شاهدنا أطباءَ وطبيبات .. ومسعفين وممرِّضات .. وصحفيين وعاملي خدماتٍ مدنية .. وغيرَهم من الأوساطِ المهنية المتعدِّدة .. يخرجون تباعاً من أمَمٍ شتّى .. ليُطلِقوا صيحةَ الإنسانيةِ في وجه السياساتِ المتوحِّشة .. التي لا تَعْرِفُ رأفةً ولا رحمة ..

لا غنى لعالمِنا عن إعلاءِ صوتِ العدالة .. وتكاتُفِ الضمائر الحرّة .. فهذه المواقف هي بقيةُ الخيرِ في إنسانيتّنا .. علاوةً على أنّ هذا التزامٌ مبدئيّ وواجبٌ أخلاقيٌّ ومسؤوليةٌ شرعيةٌ علينا جميعا ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُذِّبَت امرأةٌ في هِرّة، سجنتها حتى ماتَت، فدخَلَتْ فيها النار؛ لا هي أطعمَتْها ولا سَقَتْها إذ حبَستها، ولا هي تركتها تأكُلُ من خشاش الأرض»

متفق عليه.

الموضوع الثامن عشر

الإبادة الوحشية تطارد الكائناتِ جميعاً

عن عبدِ الله بن عُمَر، رضي الله عنهما، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عُذِّبَت امرأةٌ في هِرّة، سجنتها حتى ماتَت، فدخَلَتْ فيها النار؛ لا هي أطعمَتْها ولا سَقَتْها إذ حبَستها، ولا هي تركتها تأكُلُ من خشاش الأرض» - متفق عليه.

نعم .. بسبب قطّة .. أُدخِلَت امرأةٌ النار .. ذلكم أنّها حَبَست هذه القِطّة .. أو الهِرّة .. ومنعت عنها الطعامَ والشراب .. تركتها تَتَضَوَّرُ جوعاً ويشتدُّ بها العطش .. منعَتَ عنها رمَقَ الحياة .. حبَسَتْها ولم تكتَرِث بأنينِها .. ولم تُطلِقْ سراحَها لِتَجِدَ شيئاً تأكُلُهُ من الأرض .. تُركَت القِطّةُ المسكينةُ كي تموتَ

ببُـطء .. كـي تمـوتَ جوعـاً وعطشـا .. وهـو صنيـعٌ لا يصـدُر عـن قلـبٍ يعـرف الرحمـة .. لا يصـدُر عـن إنسـانٍ يعـرفُ الرأفـة .. صنيـعٌ يتلـذّذ صاحِبُـهُ بإلحـاقِ الأذى والهـلاك عـلى هـذا النحـوِ البشـع .. بحـقِّ كائنـاتٍ ضعيفـةٍ بريئـة .. تسـتحقّ العنايـةَ والرعاية .. والإطعـامَ والسِّـقاية ..

نسـتذكرُ هـذا الحديـثَ النبـوّيَّ الشريـف .. الـذي ينبغـي أن يقـرعَ أسـماعَ كلِّ إنسـان .. نسـتذكرُهُ ونحـن نسـمَعُ ونشـاهد .. نـرى ونواكـب .. مشـاهدَ تأتينـا .. فيهـا قططٌ ضامـرة .. وكلابٌ جائعـة .. ودوابُّ نافقـة .. نراهـا عـلى هـذا الحـال البائـس .. تهيـمُ عـلى وجوههـا مـن الجـوع الشـديد .. لا تجـدُ مـا تأكُلُـه .. حتـى مـن خشـاشِ الأرض .. فهـي حبيسـةُ سـجنٍ كبير .. يُسـمّى قطـاعَ غزّة .. تتقاسَـم مـع أكثـر مـن مليـونيْ إنسـانٍ فيـه .. العطـشَ والجـوعَ والمـرض .. بسـبب الحصـارِ الخانـقِ والعـدوانِ المـارِق والتجويـعِ الفائـق ..

إنّ المشـاهدَ التـي تأتينـا مـن أحـوالِ هـذهِ الكائنـاتِ التـي تتضـوّرُ جوعـاً .. هـي بالأحـرى مثـالٌ كاشِـفٌ لتجويـع البـشر مـن حولهـا

.. الـذي صـار نهجـاً مُتّبعـاً وسياسـةً معتمـدةً .. تجويـعِ الأطفـالِ والرُّضّـع .. تجويـعِ الأمّهـات والشـيوخ .. تجويـعِ الضعفـاءِ والمـرضى .. تجويـعِ الكبـارِ والصِّغـار .. وتجويـعِ الكائنـاتِ مـن حولهـم .. أو مـا تبقّـى مِـن هـذه الكائنـاتِ بعـد أن فتـكَ جيـشُ العـدوانِ والإبـادةِ بكثـير منهـا .. بقذائِفِـهِ ورصاصِـه ونيرانِـه .. وإنْ «عُذِّبَـت امـرأةٌ في هِـرّة، سـجنتها حتـى ماتـت، فدخلـت فيهـا النـار» .. فـما يكـون الحـالُ مـع مَـنْ يقترفـون هـذه الفظائـعَ مـع حشـودٍ مـن البـشر والكائنـات .. لا هُـم أطعموهـم ولا سـقوْهم إذ حبسـوهم .. ولا هـم تركوهـم يحصُلـون عـلى إمـداداتِ الإغاثـة التـي تتوجّـه نحوهـم مـن أنحـاء الأرض ثـمّ يُمنَـعُ عبورُهـا إليهـم .

يـا لهـا مـن سياسـةٍ جائـرة .. نُزِعَـت منهـا الرحمـة .. ولا تعـرفُ الرأفـةُ إليهـا سـبيلا .. سياسـةٍ تتنصّـلُ مـن الإنسـانيةِ وتُسـقِط المواثيـقَ وتنتهـكُ الشرائـع .. حتـى مـا يتّصـل منهـا بحقـوقِ الحيـوانِ في مقوِّمـاتِ بقائِـه ..

وإنْ كان هـذا هـو صنيعُهُـم الآثـمُ مـع الـدوابّ .. فـما يكـون صنيعُهـم مـع البـشر مـن هـذا الشـعبِ المُصابِـر .. الذيـن فـرُّوا

من القصفِ إلى القصف .. من النارِ إلى النار .. في حربِ إبادةٍ مديدةٍ لم ترحَمْ صغيراً ولم ترأفْ بضعيف .. حربٍ دمّرت المستشفياتِ عن آخرها .. حتى أنّ الأطفالَ حديثي الولادة لا يجدون فيها حاضنةً تُؤويهم .. فيموت هؤلاءُ الصِّغارِ واحداً تلو الآخر .. دون أن يُستمَعَ لأنينهم .. أو يُنصَتَ لضرباتِ قلوبهم الصغيرة .. التي تؤذنُ بهلاكهم ..

صيحاتُ الاستغاثةِ توالَت .. النداءاتُ العاجلةُ تعاقَبَت .. يوماً بعد يوم .. أسبوعاً بعد أسبوع .. شهراً بعد شهر .. ولكن لا حياةَ لمن تُنادي .. وكأنّ عالَمنا اليوم .. الذي يتهاونُ مع كلِّ هذا الذي يجري .. ويتواطأ معه بالتراخي والتقاعُس أو بالشراكة والتبرير .. كأنّ عالَمنا هو في موضع تلكُم المرأة التي حذّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من فَعْلَتها الشنعاء .. وبيّن مصيرَها المستحَقَّ في الآخرة .. جزاءً وفاقاً ..

إنّ لهذه الهرّةِ .. أو القطّة .. أمثالٌ من الكائناتِ في قطاع غزة .. حُبِست ومُنِعَ عنها الطعامُ والشرابُ والرعاية .. وفوْقَ هذا يُحبَسُ شعبٌ بحياله .. ولا يُكترَثُ بالاستغاثاتِ المتعاظمةِ عن اشتدادِ التجويعِ الذي ينهَشُ الأبدانَ ويفتِكُ بالبشر والكائنات .

وقد بيّن رسولُنا صلى الله عليه وسلم .. صورةً مُقابلة .. صورةً نبيلة .. هي مثالٌ للسلوكِ الإنسانيِّ الحميد .. الذي ينبغي أن يُقتفى أثره ويُتأسّى به في مثل هذه الأحوال ..

فقد جاء في الصحيحين وغيرِهما مِن روايةِ أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعاً: بينما رَجُلٌ يمشي فاشتدّ عليه العطشُ فنزَلَ بِئراً فَشَرِبَ منها ثم خَرَج، فإذا هو بكلبٍ يلهَثُ يأكُلُ الثرى مِن العطش، فقال: لقد بلغَ هذا مثلُ الذي بلغَ بي، فملأ خُفَّهُ ثمّ أمسكَه بفيه ثم رقى فسقى الكلبَ، فشكَرَ اللهُ له فغفرَ له. قالوا يا رسولَ الله: وإنّ لنا في البهائمِ أجراً؟ قال: في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجر.

وفي حديثٍ آخر في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرةَ مرفوعاً: «بينما كَلْبٌ يطيفُ بركية كادَ يقتله العطش إذ رأتهُ بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغُفِر لها به».
هذان مِثالان على المواقف النبيلة .. مواقفِ الرحمةِ والشفقة والإحسان .. فقد اجتهد الرجلُ واجتهدت المرأة .. في سقاية الكلبِ الذي اشتدّ به العطش .. اجتهدَ كلٌّ منهما في تمكين

هـذا الكائـنِ مـن تجـاوزِ الخطـر وإنقـاذِ حياتـه .. وهـذه الرحمـةُ كانـت سـبباً في أن يغفـرَ الله تعـالى لـه ولهـا.

وفي مـا رواهُ الترمـذيُّ وصحّحـه .. أنّ النبـيّ صـلى الله عليه وسـلم قـال: «الراحمـون يرحَمُهُـم الرحمـن، ارحمـوا مَـن في الأرض يرحَمُكُـم مَـن في السـماء».

وإنّ المـرءَ اليـومَ ليعجَـب .. كيـف يعجـزُ أهـلُ الأرضِ أجمعـين .. عـن تمكـين البـشرِ والكائنـاتِ في غـزة .. مـن رشـفةِ مـاءٍ ولُقمـةِ غِـذاءٍ وجُرعـةِ دواء .. وتمكـين الكائنـاتِ مِـن حولهـم أيضـاً مِـن فُـرَصِ البقـاء .. وكيـف لا يتـصرّفُ العـالمُ رغـمَ فظاعـةِ حـربِ التجويـع المشـهودةِ في المشـارقِ والمغـارب .. الحـربِ التـي انتهكت إنسـانيّتَنا وامتهنـت كرامَتَنـا وأسـقطت مواثيقَنـا وهَـوَتْ بشرائعِنـا ..

إنّهـا المجاعـةُ المُبرمَجـة .. المقتلـةُ الوحشـيةُ المُصطَنعـة .. التـي تَمَـسُّ النـاسَ جميعـاً في قطـاع غـزّة .. تمـسّ أخواتِنـا وإخوتَنـا .. تمـسُّ أمّهاتِنـا وجداتِنـا وشـيوخَنا .. كـما تمـسّ أطفالَنـا مـن كلِّ الأعـمار .. حتـى الرضّـع منهـم .. الذيـن لا يجـدون ضِرعـاً يُشـبِعُهُم ولا لبنـاً يُغذّيهـم ولا مـاءً نقيّـاً يـروي ظمأهُـم ..

أيُّ بشاعةٍ هذه التي تُقترَفُ تحت الأسماعِ والأبصار .. حتى انتهى المشهدُ إلى مجاعةٍ ضاريةٍ افتعلوها .. وموتٍ بطيءٍ اصطنعوه كي يفترسَ الناس .. ينهشهم نهشاً .. دون أن تُوقَفَ الجريمةُ الوحشية .. أو يُردَعَ مقترفوها .. أو يُحاسَبَ داعموها .. أو يُساءَل مَن يَنهَمِكون في تبريرها والتماسِ الأعذارِ لها في منصّاتِ السياسةِ والإعلام عبر العالم ..

إنّ مِن حَقِّ أهلِ غزّة علينا .. أن نهتمّ بأمرهم .. وننشغلَ بهمِّهم .. أن نَقِفَ معهم في هذا البلاءِ العظيم .. في هذه المأساةِ الرهيبة .. في هذه الإبادةِ الوحشية .. وكيفَ لنا أن نهنأ بطعامٍ أو شرابٍ أو رُقادٍ أو شيء من زينةِ الدنيا .. ونحن نعيشُ محنتَهم ومأساتهم ومظلمتَهم .. نعيشُ ما يُصَبُّ على الأطفالِ والنِّساءِ والشيوخِ والمرضى وعمومِ الناسِ في غزّةَ من ألوانِ الأذى والفتكِ والبطشِ التي تنتفضُ لها الأبدان .. مِن القتْلِ الجماعيِّ الذي يتواصَلُ بلا هوادة .. والتجويعِ الذي يتعاظَمُ بلا رادِع ..

إنّ من واجبِنا وواجبِ كلّ صاحب ضمير .. أن نُساندَ أهلَ

غـزةَ في هـذه المظلمـة .. وأن نسـعى في التخفيـف عنهـم بـكلِّ مـا يمكـن تقديمُـه لهـم .. وأن نرفـعَ أصواتَنـا لدعـم الحـقّ والعـدلِ وفي مواجهـة الظُّلـم والعـدوان والتجويـع .. وأن يدركـوا أنّهـم ليسـوا وحدهـم .. وأنّ لهـم أمّـةً تقـف إلى جانبهـم .. وضمائـرَ حـرّة تلتـفُّ حـول قضيّتهـم .. كـي لا ينالَهـم شـعورُ الخُـذلانِ المريـر .. فالوقـوفُ إلى جانـبِ فلسـطينَ وشـعبِها .. ومسـاندةُ غـزّةَ الجريحةَ وأهلَهـا .. هـو مـن أعظـم الواجبـات في هـذه الأيّـام ..

يـا أهْـلَ غـزّة .. نسـألُ الله تعـالى أن يتقبّـل تضحياتِكِـمُ العزيـزة .. وأنْ يَرْبِـطَ عـلى قلوبِكُـم .. وأن يُؤتِيَكـم ثـوابَ الدُّنيـا وحُسْـنَ ثـوابِ الآخِـرَة ..

قال تعالى..

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)﴾

سورة البروج

الموضوع التاسع عشر

امتحانٌ للضمائر وتمحيصٌ للمواقف

فصولٌ مديدةٌ من حرب الإبادة والتجويع .. دَهمَتنا خلالها أنباءُ الفظائعِ المتلاحقة والمآسي المتجدِّدةِ، التي يقاسيها أخوة لنا وأخوات في قطاع غزة. شهدنا جميعاً فصول العدوانِ السافر، والجرائمِ الوحشية، والفظائعِ المرعبة، التي تنفطرُ لها القلوب ويندى لها جبينُ الإنسانية.

شعبٌ قاسى الإبادة والتهجير والتجويع في ظروف مأساوية مرُعِبة. شعبٌ فُرِضَ عليه الجوعُ والمرضُ تحت أهوالِ القصفِ وبين جبال الأنقاض، شعبٌ طارَدَهُ الأذى في كلِّ لحظة، لاحقَهُ القتلُ الجماعيُّ المشفوعُ بالبؤسِ والفاقةِ والحرمان.

فصولٌ مديدة .. لم تنقطع خلالها الصورُ المرعبةُ والمقاطع المأساوية، وقد ملأت التقاريرُ الموثّقة عن الفظائع الدُّنيا وقرعت الضميرَ الإنسانيّ، وفيها تفاصيلُ مذهلةٌ عن أطفالٍ عايَشُوا الفظائع .. وأمّهاتٍ ذُقْنَ العذاب .. ومُسِنُّون طاردَهُم الترويع .. ومرضى حُرِموا العلاجَ والدواء. نساءٌ وشيوخٌ ومرضى ومصابون تُركِوا وحدهم في موتٍ بطيء؛ بعد أن أتى القتلُ الوحشيُّ على ذويهم، ولا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله العليِّ العظيم.

اللهم إليك نلجأ وبرحمتك نستغيث؛ إنّ أشقاءنا في فلسطينَ مُستضعَفون في الأرض، يُسامون سوء العذاب، قتلاً وتعذيباً وتنكيلاً واضطهاداً وتشريداً، أحاط بهم طغيانُ المحتلِّين الذين عَلَوْا واستكبَروا، وحاق بهم طغيانُ الإبادة التي يتألّه أربابُها في الأرض ويُطلقون أنيابَ جيشهم الجائر لينهشَ الأبرياء .. اللهم إنّ البغيَ قد استفردَ بأشقائِنا، والعدوانَ قد استبدّ بهم، في غفلةٍ من أمّة الإسلام؛ ولم يجدوا من العالم نُصرةً ولا عوْنا. ترَكَ العالمُ شعبَ فلسطينَ وحدَه .. لينهشَه احتلالٌ عسكريّ، وتطرّفٌ فاشيّ، وجيشٌ عدوانيّ، ونزعاتٌ عنصرية، وترويعٌ

مُنظّم.

ولا ريبَ أنّ ما جرى في قطاع غزة من ترويع متواصل؛ هو اختبارٌ للعالم، وامتحانٌ للضمائر، وتمحيصٌ للمواقف .. فالحقوقُ لا تتجزّأ حسب هُوِيّة الضحايا .. والمبادئ لا تَنْفَصِمُ عُراها طبقاً لألوان المعتدين .. ولا يُعقَل أن يكون في عالمنا دمٌ أرخصُ من دم، وأرواحٌ أزهدُ من أرواح، وحقوقٌ تُداس وأخرى تُحفَظ، وكرامةٌ تثورُ لها الحميّةُ وغيرها تُهدَرُ وتُستبَاح.

لقد غضّ العالمُ النظرَ طويلاً عن قضية فلسطين؛ التي بلغَت اليومَ مَبلغَها من الظُّلمِ وأوجَّها من التعسُّفِ وذروَتها من الفتك. عانى شعبُ فلسطين النكبةَ والتشريدَ والاضطهاد .. شعبٌ لم يُعترَفْ به في بلادِه .. أنكرَ الطغيانُ وجودَه .. حرَمَه الاضطهادُ فُرَصَ العيش وطاردَه في موارد رزقه ولقمة عيشه .. داسَ حقوقَهُ وكرامَتَه جيلاً بعد جيل .. عمَدَ إلى استئصالِه والفتكِ به .. باشَرَ اجتثاثَه من فوقِ الأرض .. ولم يتورّع في مسعاهُ هذا عن سَحقِ القيَم ودَوْسِ الإنسانية وانتهاكِ الحُرُمات والإسراف في الفظائع.

لا ينبغي لأيِّ ضميرٍ حُرٍّ أن يهدأ ونحن نرى جميعاً كلَّ هذا المروق من الإنسانيةِ والأخلاقِ والمبادئِ والشرائع .. وما كان

لهذه الفظائعِ التي نشهدُها اليوْمَ أن تستمرّ عقوداً متواصلة .. وأن تتلاحقَ عهوداً مديدة؛ .. لولا السكوت الشائن عنها في عالَمٍ لم يشأ أن يُبصِرَها، أو لعلّه تواطأَ معها بالدعمِ والمساندة .. أو التجاهُلِ والتقاعس .. فاجترَأَ البُغاةُ على التمادي .. هانئينَ بحصانتهم من المساءلةِ وأمانهم من العِقاب .. فأسرفوا في القتْلِ والترويعِ والمطاردة .. وتوسّعوا في قصفِ البيوتِ والمساجدِ والكنائسِ والمستشفياتِ ودورِ الرِّعاية .. وتشريدِ هذا الشعب من أحيائِهِ السكنيةِ ومخيّماتِهِ التي لجأ إليها يوْمَ أن حلّت النكبةُ الرهيبةُ سنةَ ثمانيةٍ وأربعين (١٩٤٨).

لقد توعّدَ اللهُ تعالى أربابَ الظُّلمِ والبَغي بعذابٍ أليم .. وقد جاءت قَصصُ السابقين حافلةً بالدُّروسِ والعِبر عن سوءِ العاقبة .. ونجدُ في قصّة أصحابِ الأخدودِ مشاهدَ الفتك الوحشيّ .. التي كان لها أن تنتصبَ للبشريةِ جميعاً درساً تحذَرُهُ وعِظةً تُدرِكُها، بأنّ الطُّغيانَ وخيمُ العاقبة، وقد جاء في شأنهم قرآنٌ يُتلَى إلى يومِ الدِّين، قال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)

وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)). سورة البروج.

وإنْ فرَحِ الطغاةُ والمعتدون والظالمون بانطلاق أيديهم في سفك الدماء وإهلاكِ الحرثِ والنّسل .. وحسبوا أنّهم قد أفلَتوا من محاكمِ الدُّنيا وعدالةِ الأرض؛ فما يصنعون مع عدالةِ الآخرة .. وأينَ مَفَرُّهُم من الواحدِ القهار، والله شديدُ العقاب؟!

وفي ما رواه البخاري ومسلم أنّ أبا موسى الأشعري قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليُملي للظالم، حتى

إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ عليه الصلاةُ والسّلامُ قولَه تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) وفي الحديث: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (رواه مسلم). وقد قال عزّ وجلّ: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ). الشورى -٤٢.

وإنّا لنَعجبُ أشدّ العجبِ من اختلالِ المعاييرِ واضطرابِ القيَم، فبعضُهم تقومُ قائمتُه وتثورُ ثائِرَتُه لظُلمٍ دون ظُلم، وجَوْرٍ دونَ آخر، فيُحَدِّد موقفَهُ حسب تصنيفِ الجاني والضحية، ويجعلُ ألوانَ الأبراجِ وإضاءاتِ المباني مُكرّسةً للتضامنِ مع ضحايا دون ضحايا .. وكأنّ البشرَ طبقاتٌ ودرجاتٌ وليسوا أخوةً وأخوات، كُلُّهم لآدمَ وآدمُ من تُراب.

نجدُ بعضَ قادةِ العالم يُصِرُّون أيّما إصرارٍ على تجاهُل دماءِ غزّةَ المسفوكة .. وتسويغِ الجرائمِ البشعةِ التي تُرتكبُ تحت ناظريهم .. ولم يُنكِروا شيئاً من ذلك .. بل واصلوا انخراطَهُم في دعمِ حربِ الإبادةِ وحربِ التجويعِ وحربِ القهر ..

نقف مع أهلِ غزّة وشعبِ فلسطين بمُنطلقٍ إنساني، ودافعٍ أخلاقي، وامتثالٍ إسلاميّ، والتزامٍ أخويّ. هذه قضيتنا، وقضيةُ كلِّ إنسانٍ، وشاغلُ كلِّ حرّ، ومسؤوليةُ كُلِّ صاحبِ نبْضٍ حيٍّ وضمير يَقِظ.

الموضوع العشرون

الحثّ على التآخي والتضامن

نقفُ مجدّداً مع شعبِ فلسطين .. مع أهلِ غزّة .. في المحنة القاسية التي أُنزِلَت بهم .. نقف معهم بمُنطلقٍ إنساني، ودافعٍ أخلاقي، وامتثالٍ إسلاميّ، والتزامٍ أخويّ .. ونؤكِّد في هذا المقام، أنها ليست قضيّتُنا وحدنا؛ بل هي قضيةُ كلِّ إنسان .. وشاغلُ كلِّ حرّ .. ومسؤوليةُ كُلِّ صاحبِ نبْضٍ حيٍّ وضميرٍ يَقِظ.

إنّ مسؤوليّتَنا جميعاً في المجتمعات الأوروبية والإنسانية عموماً .. مسلمينَ وغير مسلمين .. أن نرفع صَوْتَنا عالياً ضدّ هذه الإبادةِ .. بكُلِّ السُّبُلِ المدنيّةِ المتاحة .. وأن نحشد الجهودَ لمناهضةِ العُدوان السافر على شعب فلسطين.

ولا شكّ أنّ ما جرى في غزّة لم يكن ليَجريَ؛ لو قام العالمُ بالوفاءِ بالتزاماتِه .. والتقيّدِ بمواثيقِه .. والامتثالِ لشعاراتِه .. أو لو أنّ عالَمَنا نهضَ بواجبِه الأخلاقيّ في التحذيرِ من الإبادةِ الوحشية واتّخذ الإجراءاتِ الرّادعةَ لوقفها.

إنّ دينَنا الحنيف يحثُّنا على التآخي والتضامن .. ويحضُّنا على النهوض بمسؤوليّاتنا نحو أخوتِنا وأخواتِنا في غزّة .. بمضاعفةِ الجُهد لصالحِ قضيّتهم العادلة .. ورفعِ الصوْت ضدّ الإبادةِ والتجويع .. وتقديمِ الغوْثِ العاجلِ والمساعدةِ الملحّة لشعبٍ حُورِبَ في أمعائِه ورمَقِ عيْشَه .. لشعبٍ قُطِعَت عنه شرايينُ الحياةِ وتقطّعت به السبُلُ وسُدَّت أبوابُ الغذاءِ والدواءِ في وجهِه .. ثمّ قُتِلُ جماعياً على مرأى من العالَمِ ومَسمَع وهو يسعى في الحصول على طحينٍ شحيحٍ لإطعامِ أطفالِه وضعفائِه.

ونودّ التنبيه.. إلى ضرورةِ التحقُّقِ من منشأ الطعام الذي نتزوّد به .. في بيوتنا ومراكزنا ومساجدنا وجمعياتنا ومطاعمنا ومتاجرنا .. وعلى موائد الطعام والإفطار .. في شهرِ رمضانَ

المبارك .. وفي عموم المواسم والأوقات .. فلا يَصِحُّ بأيٍّ منّا أن يتهاوَنَ مع شراءِ تُمورٍ يُطمَسُ منشؤها .. لأنّها من مزارعَ محتلّةٌ في فلسطين .. لا يَصِحُّ أن تجعلَ إفطارَك أخي المسلم .. أو إفطارِكِ أختي المسلمة .. على تمراتٍ تَصيرُ أثمانُها رصاصاً يُزهِقُ أرواحَ الأبرياءِ في فلسطين .. ولْيَتَّقِ اللهَ تعالى كُلُّ تاجِرٍ يتهاوَنُ مع هذا .. وهذا من الجشعِ الذميم .. والخذلان المقيت .. فلا تجعلوا تمورَ الاحتلالِ من أراضي فلسطين المسروقة إلى موائدِ الإفطارِ سبيلا .. واسألوا الباعةَ عن منشئِها بإصرار .. لا تكلّوا ولا تملّوا .. اسألوهم وسائلوهم .. ولا تتهاونوا في هذا .. ألا هل بلّغت .. اللهم فاشهد.

إنّ مِن حَقِّ أهلِ غزّة علينا في شهر رمضان المبارك وفي عموم المواسم .. أن نهتمّ بأمرهم .. وننشغلَ بهمِّهم .. أن نَقِفَ معهم في هذا البلاءِ العظيم .. في هذه المأساةِ الرهيبة .. في هذه الإبادةِ الوحشية ..

إنّ مِن واجبِنا وواجبِ كُلِّ صاحبِ ضمير .. أن نُساندَ أهلَ غزّةَ في هذه المظلمة .. وأن نسعى في التخفيف عنهم بكل ما

يمكن تقديمُه لهم .. وأن نرفعَ أصواتَنا لدعم الحقّ والعدلِ وفي مواجهة الظُّلم والعدوان والتجويع .. وأن يدركوا أنّهم ليسوا وحدهم .. وأنّ لهم أمّةً تقف إلى جانبهم .. وضمائرَ حرّة تلتفُّ حول قضيّتهم .. كي لا يناهَم شعورُ الخُذلانِ المرير .. يا أهل غزةَ الصابرين .. بشراكم اليوم من الله تعالى .. ألم يَقُل عزّ وجلّ في كتابِهِ الكريم: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)؟ سورة البقرة ١٥٥

يا أهلَ غزّة .. إن يَمْسَسْكُم قرحٌ فقد مَسّ القوْمَ قَرْحٌ مِثلُه .. وتلكَ الأيّامُ نُداولها بين الناس .. ولِيَعْلَمَ اللهُ الذين آمنوا ويتّخِذَ منكم شهداء ..

يا أهْلَ غزّة .. نسألُ الله تعالى أن يتقبّل تضحياتِكِمُ العزيزة .. وأنْ يَرْبِطَ على قلوبِكُم .. وأن يُؤتِيَكم ثوابَ الدُّنيا وحُسْنَ ثوابِ الآخِرَة ..

عـن أنـس بـن مالـك - رضي الله عنـه - أنّ رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلم قـال: «مـا آمَـن بي مَـن بـاتَ شـبعانَ وجـارُهُ جائـعٌ إلى جنبـه وهـو يعلَـم بـه».

رواه الطبرانيّ

الموضوع الحادي والعشرون

حرب التجويع وفظائعها

إنّ ما صُبّ على شعبِ فلسطين في قطاع غزة .. لم تكن حربَ إبادةٍ وتطهير عرقي وحسب .. بل هي حربُ تجويعٍ مُبرمَجة أيضاً .. استهدفَت شعباً بحِيالِه .. استهدفتهُ في قوتِ يوْمِه .. استهدفتهُ في رَمَقِ عيْشِه .. استهدفتهُ في لحمهِ ودَمِه .. استهدفَتْ فرصَتَه للبقاء على قيْدِ الحياة ..

فهل شهد عالمنا حربَ تجويعٍ كهذه التي مارسَت وحشيّتها في قطاع غزة؟!

هل شهدَ مثلَ هذا التواطؤِ على تجويع الصغار والكبار؟! .. على حرمانهم كسرةَ الخبزِ اليابسة .. ولقمةَ الغذاءِ البائسة .. ورشفةَ الماءِ النقيّة .. وقارورةَ الدواءِ المُلِحّة؟!

هل شهدَ عالمُنا إرغامَ شعبٍ على أن يقتاتَ من علفِ الحيوانات .. ثمّ لا يجدها؟!

أيُّ وحشيةٍ هذه؟ .. وحشيةٍ سُمِحَ لها بأنْ تُمارَسَ طريقةً في الحَربِ تحتَ الأسماعِ والأبصار .. سُمِحَ لها بأن تتواصَلَ أسلوباً في الفتك شهراً بعد شهر من التجويع الرهيب .. الذي حاربَ الأهالي في ما يأكلون ويشربون .. حاربهم في أمعائِهم الخاوية .. حارَبَ الصِّغارَ والرُّضّعَ والأمّهاتِ والعجائزَ والمرضى .. حرمهم من أبسطِ ما تقومُ به حياةُ الإنسان في يوْمِه وليْلَتِه ..

جرى هذا في قلبِ العالم .. مورِسَ في مركَزِ الأرض .. وليس في صحراءٍ معزولة .. أو بلادٍ قاصية ..أو أطرافٍ نائية ..

لم تحدُث هذه المأساةُ الإنسانية بفعلِ نكبةٍ طبيعية .. أو بتأثيرِ جائحةٍ داهمة .. بل هي كارثةٌ مُبرمَجة .. فاجعةٌ محبوكة .. سياسةٌ مقصودة .. كي يجوعَ الناسُ جميعاً ويموتون جوعاً وعطشاً ومَرَضاً ووباءً .. كي يُقهَرَ هذا الشعبُ في بَدَنِهِ وصحّتِه ويُكسَرَ في عزيمتِهِ وإرادَتِه ..وكي يُساوَمَ على حقوقِه ومطالبه ..

باتَ مئاتُ الألوفِ في غزّةَ العِزّةَ جياعاً .. وهم مُحاطُون بجيرانٍ لهم من أُمّتهم .. وواقِعون في عالمٍ فسيحٍ يرى ويسمع .. في عالمٍ

يعلَمُ بهذه الحربِ الوحشيةِ التي تستهدفُهم ..

ومن صحيحِ الحديثِ الشريفِ أنّ رسولَنا صلّى الله عليه وسلم .. قال .. في ما رواهُ الطبرانيُّ في الكبير عن أنس بن مالك -رضي الله عنه - .. «ما آمَن بي مَن باتَ شبعانَ وجارُهُ جائعٌ إلى جنبه وهو يعلَم به».

وفي رواية الحاكم في المستدرك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال رسول الله صلى الله عليه: «ليس المؤمنُ الذي يشبعُ وجارُه جائعٌ إلى جنبه».

والمعنى هنا أنّ المؤمنَ الكاملَ لا يفعلُ هذا التجاهُل .. فهذا السلوكُ ينفي الإيمانَ الكامل .. لأنّه يُنبِئُ عن قسوةِ القلب وغيابِ المروءة .. فكيف إنْ اجتمعَ القصفُ مع التجويع .. والقتلُ مع التعطيش .. والتدميرُ مع الإفقار؟

وممّا يُستفادُ من الحديث .. ضرورةُ أن يتفقّدَ النّاسُ بعضَهم بعضاً .. وأن يهتمّوا بأمْرِ مَن حولَهم .. وأن ينشغلوا بأحوالِ مَن يَلونَهُم .. وقد صِرْنا اليَوْمَ في عالمنا متجاوِرينَ نسمع ما يجري في غزّةَ ونراهُ .. نُعايِشُه لحظةً بلحظة .. فالمأساةُ التي تُوقَعُ عليهم ظلّت

مرئيّةً في كُلِّ بيت .. وصُوَرُها حاضِرةٌ في كُلِّ جَيْب .. ومشاهدُ الإبادةِ والتجويعِ تَقُضُّ مضاجِعَ أهْلِ الإيمانِ والمروءةِ والضمير ..

لنا أن نتخيّلَ أُمّاً ثكلى .. لا تجد ما تُطعِمُ به صِغارَها وقد شَحُبَت وجوههم وضَمُرت أبدانُهم .. فيبيتون بين أيديها تحتَ القصفِ كلَّ ليلةٍ وبطونُهم خاوية ..
لنا أن نتصوّرَ أباً مكلوماً .. يهيمُ على وجهِهِ في كُلِّ نهارٍ حائراً .. دون أن يجدَ ما يعودُ به لأطفالِه الذين صارت أبدانُهُم الهزيلةُ هياكلَ عظمية ..

وكيف هي أحوالُ المرضى والعجائزِ في هذه الظروفِ الخانقة .. التي يفرضُها عليهم جيْشُ احتلالٍ وعدوان .. وسياساتٌ تتواطأ مَعَهُ عبر عالمنا ..

لا تتوقّف تحذيراتُ الأممِ المتحدةِ من خطورة هذه المجاعة .. وتَقْرَعُ الهيئاتُ الإنسانيةُ الدولية نواقيسَ الخطرِ من فظاعةِ ما يجري .. دون أن يتدخّل عالمنا لفرضِ القانونِ الدوليّ .. ووقفِ الجريمةِ الوحشيةِ ضدّ الإنسانية ..

إنّ حربَ التجويعِ الجاريةِ هذه وَصْمَةُ عارٍ في جبينِ عالمِنا .. فهي حربٌ وحشيةٌ حَرَمَت المدنيين الأبرياءَ من الأطفالِ والنِّساءِ والشيوخِ وعمومِ الأهالي الغذاءَ والشرابَ والدواء .. حربٌ قَرّرتها حكومة .. ومارسَها جيْش .. ودعمتها دُوَل .. وحماها «الفيتو» الآثمُ في مجلسِ الأمن .. إذ تدخّل في كلِّ مرّةٍ كي لا تتوقّف الإبادة .. كي لا تتعرقلُ المذبحة .. كي لا يجدُ الطعامُ والشرابُ والغذاءُ سبيلَهُ إلى المدنيِّينَ من شعبِ فلسطينَ في غزّة ..

ما كان لهذهِ الوحشية .. لهذه التواطؤات .. أن يُسمَحَ بها في غيرِ هذه البقعةِ من الأرض .. ما كان لها أن تُمارَسَ مع أُمّةٍ أخرى .. أو أن يُقترَفَ مع غير هذه الأمّة قِسْطٌ يسيرٌ ممّا يوقَع على شعبِ فلسطين في قطاعِ غزّةَ اليوم .. ولو فُعِلت بعضُ هذه الأفاعيلِ الشنعاءِ بقوْمٍ آخرين .. لوجدنا دولاً تتدخّلُ لوقفها .. وتحرُّكاتٍ دوليةً تهبّ للردّ عليها ..

إنّ القلبَ ليتفطّر .. وقد رأى اجتماعَ القصفِ الوحشيِّ على الأهالي في غزّة .. مع حربِ التجويع التي نهشت صغارَهم وكِبارَهم ..

إنّ البدنَ لَيَنْتَفِضُ .. من هَوْلِ مشاهدِ المجاعةِ التي صنعَها الطُّغيانُ المشهود .. من فظاعةِ التجويع الرهيبِ التي يُرْغِمُ شعباً كريماً عزيزَ النفسِ على أن يهيمَ على وجهِهِ حامِلاً قدورَ الطعامِ الخاوية ..

يجري هذا كلُّه .. وقوافلُ شاحناتِ الطعامِ والشرابِ والغذاءِ والكِساء .. تُمنَع من العبور إلى قطاعِ غزة .. وآلافُ الأطنانِ من الأغذيةِ مكدّسةٌ في الموانئ القريبة ويُحظَرُ دخولُها إلى هذا الشعب .. وقد حشَد المحتلّونَ جمهوراً عنصرياً توعّدَ أيَّ شُحنَةِ إغاثةٍ دوليةٍ تدخلُ إلى غزّةَ بالمنعِ والاعتراض .. كي يموتَ الناس جوعاً وعطشاً ومرضا ..

إنّها المجاعةُ المُبرمَجة .. المقتلةُ الوحشيةُ المُصطَنعة .. التي مسّت الناسَ جميعاً في قطاعِ غزّة .. مسّت أخواتِنا وإخوتَنا .. مسّت أمّهاتِنا وجدّاتِنا وشيوخَنا .. كما مسّت أطفالَنا من كُلِّ الأعمار .. حتى الرضّع منهم .. الذين لم يجدوا ضِرعاً يُشبِعُهُم ولا لبناً يُغذِّيهم ولا ماءً نَقِيّاً يروي ظمأهُم ..

أيُّ بشاعةٍ هذه التي اقتُرِفَت تحتَ الأسماعِ والأبصار .. منذ أنْ أعلَنَ قادةُ الحربِ تصريحاً لا تلميحاً .. أنّهم باشَروا قَطْعَ

الماءِ والغذاءِ والدواءِ والوقودِ والكهرباء وكلِّ شيءٍ عن هذا الشعب .. وانتهى المشهدُ إلى مجاعةٍ ضاريةٍ افتعلوها .. وموتٍ بطيءٍ اصطنعوه كي يفترسَ الناس .. كي ينهشَهم نهشاً .. دون أن تُوقَفَ الجريمةُ الوحشية .. أو يُردَعَ مقترفوها .. أو يُحاسَبَ داعموها .. أو يُساءَل مَن يَنهَمِكون في تبريرِها والتماسِ الأعذارِ لها في مِنَصّاتِ السِّياسةِ والإعلام عبر العالم ..

إنّ مِن حَقِّ أهلِ غزّة علينا .. أن نهتمّ بأمرهم .. وننشغلَ بهمِّهم .. أن نَقِفَ معهم في هذا البلاءِ العظيم .. في هذه المأساةِ الرهيبة .. في هذه الإبادةِ الوحشية .. وأن نرفعَ أصواتَنا لدعمِ الحقِّ والعدلِ وفي مواجهة الظُّلم والعدوان والتجويع .. وأن يدركوا أنّهم ليسوا وحدهم .. وأنّ لهم أمّةً تقف إلى جانبهم .. وضمائرَ حرّة تلتفُّ حول قضيّتهم .. كي لا ينالَهم شعورُ الخُذلانِ المرير .. فالوقوفُ إلى جانبِ فلسطينَ وشعبِها .. ومساندةُ غزّةَ الجريحةَ وأهلَها .. هو من أعظم الواجبات في هذه الأيّام ..

ملاحق

إعلان عالمي من مفكّرين ومثقفين وقيادات دينية وشخصيات عامّة وأدباء وفنانين

الفظائع الجارية في غزّة تَحَدٍّ أخلاقيّ للعالم أجمع

١– نواكب، بأسى وغضب، فظائع رهيبة تستهدف أكثر من مليوني إنسان من الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، معظمهم من الأطفال والنساء. إنّ هذا يمثّل تحدّياً أخلاقياً للعالم أجمع يستدعي يقظة إنسانية عاجلة ومراجعة مبدئية صارمة.

٢– نرفض غضّ النظر عن الجرائم الشنيعة ضدّ الإنسانية الجارية ضدّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، التي تتخذ طابع الإبادة والتطهير العرقي، ونستنكر بأقصى العبارات ما يحظى به ذلك من دعم عسكري وسياسي ودعائي متواصل من جانب قوى دولية.

٣– كشفت هذه التطوّرات أنّ عالمنا يعاني اختلالات جسيمة، وأزمة أخلاقية مُتفاقمة، ومعضلة قيمية مُستعصية، وممارسات دعائية مضلِّلة.

٤- نحذِّر من العواقب التي يجرّها تغييب المواثيق والشرائع وإسقاط القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني؛ على السِّلم العالمي ومصالح الشعوب.

٥- إنّ دعم الاحتلال العسكري وسياسات القهر والاضطهاد وحملات الإبادة والتطهير العرقي وجرائم الحرب بسرديّات تتذرّع بالأخلاق والمبادئ والإنسانية؛ هو تغليف مضلِّل يتّخذ من الشعار الأخلاقي والمبدئي والإنساني أداة قتل وقهر واضطهاد.

٦- ليس مقبولاً استدعاء القيَم والمبادئ والمواثيق أو تعطيلها بصفة انتقائية سافرة حسب أولويّات السياسة واتجاهات المصالح. إنّ تناقُض مواقف القوى الدولية حسب مصالحها واستقطاباتها؛ ينزع المصداقية عن مواقفها عموماً.

٧- العدوان الرهيب الجاري ضدّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزة أفقد شعوباً وجماهير حول العالم ما تبقّى لديها من ثقة بأخلاقيّات النظام الدولي، وبعمل العدالة الجنائية الدولية، وبمفعول القيم والمبادئ والمواثيق والشعارات في الواقع.

٨- من بواعث الفزع أن تحتفي منصّات دولية وسياسية

وإعلامية بخطابات مكرّسة لتبرير العدوان وتمجيد مقترفه ولوْم ضحاياه وتحميلهم المسؤولية عن مصيرهم المُرعِب قتلاً وسحقاً وتعطيشاً وتجويعاً وتشريداً.

٩- ما يجري في فلسطين يُعيد إلى الأذهان فصولاً مُرعبة من ذاكرة العهد الاستعماري. إنّ هذا يؤكِّد أهمية فتح ملفّات الاستعمار ومحاكَمته أخلاقياً ومبدئياً واستلهام العظات اللازمة منه للحاضر والمستقبل.

١٠- نستهجن وضع بعض البشر فوق بعض في المرتبة والحقوق والاهتمام، وننبذ المساس بكرامة أيّ من الشعوب والجماعات البشرية بصفة صريحة أو إيحائية.

١١- إنّ الفظائع الجارية في غزة مثال مُعبِّر عن عالَم يُعاني من اختلالات جسيمة على حساب جنوب الكوكب وشعوبه ومجتمعاته، وهذا يتطلّب نهجاً تصحيحياً عاجلاً بلا هوادة.

١٢- نحذِّر من نهج احتكار الحقيقة ومصادرة القيَم والمبادئ وتشغيلها انتقائياً حسب مصالح القوى الدولية وفرض سردية أحادية على العالم تقوم على التحيّز والغطرسة والتجاهل والتبرير.

١٣- إنّ عالماً يُقرِّر تشغيل قيَمه ومبادئه ومواثيقه بصفة انتقائية، ولا تتكافأ فيه أرواح البشر أو تتساوى فيه حقوقهم وحريّاتهم وكرامتهم؛ هو عالم جائر يزرع الغضب في صفوف أجيالٍ تلحظ الفجوة بين شعارات نبيلة وممارسات مروِّعة.

١٤- إنّ الرضوخ لخطابات تبرير الإبادة والتطهير العرقي وجرائم الحرب التي سُمعت من منصّات دولية وثقافية وإعلامية يمثِّل تهديداً للإنسانية جمعاء وليس للشعب الفلسطيني وحده.

١٥- نحذِّر من إسباغ أوصاف «الحضارة» و«التحضُّر» و«الإنسانية» و«الخير» و«النور» على سياسات الإبادة وجرائم الحرب، ومن تبرير الفظائع عبر نزع الإنسانية عن الشعوب المضطّهَدة وتسميم أجواء التعايش الإنساني والتفاعل الثقافي في عالم متنوِّع.

١٦- يفتقد عالمنا سُلطة مُساءلة أخلاقية تقف في وجه الغطرسة والسطوة وانتهاك المواثيق والشرائع وسياسات الإبادة والتطهير العرقي وجرائم الحرب والاضطهاد.

١٧- صار مُلحّاً خوْض نقاش فلسفي وفكري وثقافي عالمي

للتحقُّق من مدى جاهزية عالمنا المبدئية والأخلاقية للامتثال للمواثيق الإنسانية والدولية والتصدِّي لحملات الإبادة والتطهير العرقي وسلب حقوق الشعوب وحريّاتها.

١٨- على روّاد الفلسفة والفكر والثقافة والأدب والفنّ وقادة المجتمعات الدينية والمدنية النهوض بدورهم المبدئي والأخلاقي في إنصاف الحقوق والعدالة والحرية وكرامة الإنسان في فلسطين وفي كلّ مكان، وفي التصدِّي للظلم والقهر والاضطهاد والإبادة والتطهير العرقي والسياسات العنصرية.

١٩- يتعيّن إعلاء صوت الضمير الإنساني بشجاعة وقبل فوات الأوان، فالجرائم ضدّ الإنسانية انتهاك للبشرية جمعاء وليس فقط لضحاياها المُباشرين الذين تُسلَب حقوقهم في الحياة والأمان والحرية والكرامة في فلسطين.

٢٠- إنّ عالماً يُحدِّد موْقفه من الفظائع والانتهاكات طبقاً لهُويّة الجاني وهُويّة الضحية؛ هو عالم لا أمان فيه ولا حقوق ولا عدالة، ولن تتورّع دوله وجيوشه عن الفتك ببعض البشر لتمكين بعض السياسات التي تُقدِّم مصالحها على التزاماتها المُعلنة.

٢٩ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٤

*صدر هذا الإعلان العالمي بثمان لغات هي الإنجليزية والعربية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والألمانية والتركية والبوسنية/ الصربوكرواتية، وشملت قائمة أوائل الموقِّعين عليه أكثر من مائة شخصية من أنحاء العالم.

الإعلان الإنساني العالمي لنصـرة فلسطـين

صدرت هذه الوثيقة عن ورش عمل تخصّصية عُقدت ضمن أعمال «المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين»، الذي التأم في اسطنبول يومي ٢٢ و٢٣ مايو/ أيار ٢٠٠٩، تحت شعار «نحو نصرة دائمة لفلسطين». وقد تمّ وضع هذه الوثيقة من جانب مثقّفين وأكاديميِّين وقانونيِّين وسياسيِّين وخبراء وإعلاميِّين ومتضامنين وممثِّلي مؤسّسات وتجمّعات غير حكوميّة، من عموم أوروبا ومناطق عدّة من العالم، وفي ما يلي نصّها:

- أولاً/ للشعب الفلسطيني حقوق مقرّرة، ثابتة وعادلة وغير قابلة التصرّف أو المساومة أو الإرجاء، أسوة بغيره من أمم الأرض، كحقّ العودة، وتقرير المصير، وإقامة دولته

المستقلّة، والسيادة على أرضه، والانتفاع الحرّ بموارده، والتمتع بالحرية والأمن. وينبغي على المجتمع الدولي وكلّ مناصري الحقوق والعدالة مساندة الشعب الفلسطيني والوقوف إلى جانبه في الكفاح لانتزاع هذه الحقوق السليبة التي لا تسقط بالتقادم، كما أكدت عليه مواثيق القانون الدولي.

- ثانياً/ إنّ نظام الاحتلال القائم في فلسطين يمثل نموذجاً استعمارياً إحلالياً لم يعد لمثيله وجود في عالم اليوم، وهو يقوم بشكل صارخ على أساس عنصري، بموجب المزاعم التي يتذرّع بها والسياسات التي يعتمدها والممارسات التي يتبعها. فقد أقامت الحركة الصهيونية دولة عنصرية فوق أرض فلسطين، بصورة قامت على اغتصاب الأرض والديار وتشريد الشعب الفلسطيني واعتماد سياسة توسعية، وبدون أدنى مشروعية تسوِّغ ذلك. وقد ظلّ الاحتلال الإسرائيلي يمارس انتهاكات مركّبة لحقوق الإنسان الفلسطيني، وحرياته، تُضاف إلى جريمة الطرد الجماعي والتطهير العرقي واحتلال الأرض والحرمان من السيادة وسلب حق تقرير المصير.
- ثالثاً/ إنّ النظام الدولي بعامة، والقوى الأوروبية والغربية

بخاصة، تتحمّل مسؤولية تاريخية نحو الشعب الفلسطيني، وقضيّته العادلة، خاصة وأنّ احتلال فلسطين ما كان ليتمّ، وما كان ليستمرّ في بقائه وعدوانه المتواصل؛ لولا دور بعض الدول الأوروبية والغربية التي ساندت ذلك الاحتلال ورعته وأمدّته بمقومات الهيمنة والتوسّع. وإنّ هذه الدول تتحمّل تبعات تلك المساندة بما يوجب عليها إحقاق الحق، ولن يحلّ السلام في المنطقة دون إعادة الحقِّ لأصحابه.

- رابعاً/ على كافة المستويات الرسمية ودوائر صنع القرار، وبخاصة في العالم الغربي، من حكومات وبرلمانات ومؤسسات عامة ومجتمع مدني وقادة رأي، الامتناع عن توفير الذرائع والمبرِّرات لاحتلال فلسطين، بل يتوجّب الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وتمكينه من استعادة حقوقه غير القابلة للتصرف، وقطع الطريق على أي دعم مقدّم لذلك الاحتلال.
- خامساً/ إنّ قطع الطريق على أي دعم مقدّم للاحتلال الجاثم على أرض فلسطين، هو مسؤولية إنسانية وأخلاقية تمليها الشرائع والقيم الإنسانية والمعايير الأخلاقية، من منطلق

مساندة العدل والحرية، والوقوف ضد الظلم والاحتلال، مع ضرورة إدراك خطورة المظلمة الواقعة على الشعب الفلسطيني وضرورة أن يتداعى الجميع للقيام بمسؤولياته في رفع هذه المظلمة.

- سادساً/ إنّ أي عملية تسوية سياسية للقضية الفلسطينية، لا يمكن أن تنهض بالانتقاص من حقوق الشعب الفلسطيني ومحاباة سلطة الاحتلال. كما أنّ السلام لا يتحقق بتجاهل العدالة، فهو ثمرة إنهاء الاحتلال وإرجاع الحقوق المغتصبة لأصحابها الشرعيين وتوفير الأجواء الملائمة له، علاوة على أنّ السلام لا يتعايش إطلاقاً مع فرض الاحتلال والاضطهاد والتمييز العنصري والحرمان من السيادة والحقوق والحرية.
- سابعاً/ للشعب الفلسطيني الحق في مقاومة الاحتلال الجاثم على أرضِهِ التاريخية وديارِه بكافة الوسائل والتي أكدتها مواثيق الأمم المتحدة، والتصدي للعدوان المستمر عليه، وينبغي أن يلقَى في ذلك دعم المجتمع الدولي وجميع المناصرين للحق والحرية في هذا العالم.
- ثامناً/ حق اللاجئين الفلسطينيين وذراريهم في العودة إلى

أرضهم وديارهم التي هُجِّروا منها في فلسطين التاريخية، هو حق فردي وجماعي في آن، ثابت وغير قابل للتصرّف، وليس من المقبول إخضاعه لأي مساومة كانت أو محاولة القفز عليه أو تجاوزه، وهو حق مقرّر في صميم المواثيق الإنسانية والدولية علاوة على النص الواضح عليه في مقررات النظام الدولي.

- تاسعاً/ إنّ مدينة القدس، هي عاصمة فلسطين وقلبها النابض، بهويتها التاريخية الحضارية العربية الفلسطينية الموغلة في القدم عبر آلاف السنين ومقدساتها. وإنّ أوضاع القدس تقتضي يقظة إنسانية عاجلة، في ظلّ التصاعد المطّرد لتهديدات الاحتلال بحقها وعدوانه على تاريخها بتغيير المعالم وتزوير هويتها، وممارسته الطرد والعزل بحق سكانها الشرعيين، وتطويقها بأحزمة الاستيطان غير الشرعي والجدران والأسيجة العنصرية، بهدف فرض الأمر الواقع الاحتلالي بأي ثمن.
- عاشراً/ إنّ شتى المواقف المساندة لقضية فلسطين العادلة، التي تبديها أي من الدول أو المؤسسات أو الجمعيات أو الشخصيات، هي جديرة بالتقدير والامتنان، خاصة وأنّ هذا الدور المشرِّف يعكس يقظة الضمائر الإنسانية المناصرة

للحقـوق والعدالـة والمناهضـة للظلـم والعـدوان.

وفي الختـام؛ فـإنّ التضحيـات الهائلـة التـي قدّمهـا الشـعب الفلسـطيني عـبر مسـيرته الطويلـة، وصمـوده المشرِّف في وجـه حمـلات الإبـادة والإلغـاء والعـدوان عليـه، والضريبـة الكبـيرة التـي تكبّدهـا مـن الشـهداء والجرحـى والأسرى والمعتقلـين، دفاعـاً عـن وطنـه وديـاره، وذوْداً عـن حقوقـه وحريّتـه وكرامتـه، جيـلاً في إثـر آخـر، تمثـل نموذجـاً سـاطعاً لكرامـة الإنسـان وكفاح الشـعوب العـادل مـن أجـل خياراتهـا، حتـى تحوّلـت فلسـطين إلى رمـز للحـق والعدالـة في هـذا العـالم.

٢٣ مايو/ أيار ٢٠٠٩

﴿.. وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾

سورة النساء ٤٥

يصدُر هذا الدليل بينما تتواصل حرب الإبادة الوحشية التي تستهدف الشعب الفلسطيني في قطاع غزة (2023 - 2024)، في مَوسم مُزلزل، حرّك الضمائر اليقظة والجماهير الحرّة حول العالم على اختلاف ألسُنِها وألوانِها وانتماءاتِها الثقافية والدينية. وقد تعيّن على منابر المساجدِ أن تقول قولتها في هذه النازلة الجسيمة، التي شغلت الناس في المشارقِ والمغارب، ويُؤمَل من هذا الدليل أن يُساندَ الإمام والخطيب في الإعرابِ عن موقف شرعيٍّ ومبدئيٍّ من الاحتلال الجائر والإبادة الجَماعية والتطهير العرقي وجرائم الحرب الفظيعة، ومناصرة حقوق شعبٍ فلسطين الواقع تحت احتلالٍ عسكري مديد واضطهاد مُزمِنٍ وتفرقة عنصريةَ متأصِّلة وجولاتِ عدوانٍ متلاحقة، وإن لم يوافِق هذا أهواء السياسة والإعلام.

www. euimams.org
info@euimams.org
EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة